



قطاع الثقافة

مكتبة الشيخ الشعراوي الإسلامية

سن فيض الرحمن

الجزء الأول

فضيلة الشيخ

محمد متولى الشعراوي



1880

1881

1882

1883

1884

بقلم : الشيخ محمد السنراوى

فى خواطر مولانا الإمام العارف
بالله فيض من الرحمن، والفيض من
الرحمن تتجلى فيه صفة الجلال
وصفة الكمال؛ حيث إنها إشراقة روح،
ونفثات مُحبٍّ، فتلمح حساسية فى
الضمير، وشفافية فى الشعور،
وخشية مستمرة، وحذراً دائماً، وشوقاً
إلى طريق الحياة فى كنف الله.

هذا الفيض تتجلى فيه وحدة
الشعور بالإيجاب الضَّال، ووحدة
النفس بالإيمان النقى، ووحدة القلب
بالحب الندى، ووحدة الكل لكل
المطلق، يتجلى ذلك فى جلاء العقيدة

عندما تناجى العقيدة الوجدان، وتعقد من النفس عفاً أبدياً على التوحيد المفرد والتجريد المطلق.

يقول الحق سبحانه:

﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) ﴾

لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين (١٦٣) ﴿ [الأنعام]

وطريق الاعتقاد هو طريق السمو الراقى ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر : ١٠]

وعلى طريق السمو بوحداية الله الاتجاه نحو المعبود المختار، ولهذا الاتجاه مراتب أربع:

* المرتبة الأولى: توحيد في معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله.

* المرتبة الثانية: توحيد إرادى فى العقيدة والطلب، إما أمر أو نهى أو إلزام بطاعته فى أمره ونهيه.

* المرتبة الثالثة: الاعتقاد بصحة الشهود، فالكون شاهد عليه واحد، والفطرة تنطق به واحداً ، والقلب يتجه إليه واحداً: فالثنائية مرفوضة ، والثلاثية مبغوضة ، والرباعية نفاق ، والتوحيد إخلاص .

* المرتبة الرابعة: إلزام الغير بمفهوم الإحساس. وهي الدعوة إلى الله

بحكمة التقى وجلال النقى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ
بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٢٥) [النحل] فإذا التزم العبد
بمعطيات الاعتقاد كان عبداً لسيده وهو الله ، وعبد
الله يعيش في خيره ونعمه بخلاف عبيد البشر
فهم يصدرون خيرهم لأسيادهم.

فسبادة الله فيها الحياة لمن أراد أن يحيا مع الله .

في ظلال هذه القواطر الشعرافية نقرأ في كتاب " فيض الرحمن"
لونا من الحكمة، وعرضاً لدين طالما هَفَّتْ إليه النفوس لتلتقى مع
المعاني التي تروى ظمأً وتُحيى نفساً .

إن هذا العرض الجديد الذي يلبس ثوب التجديد هو منحة العصر؛
ونفحة الوقت لأجيال ينتظرها المستقبل ؛ فقد قال فضيلته في
فيضه عن قضايا الإسلام من منظور أصيل ومعاصر ؛ فالإسلام
انقياد ؛ والانقياد يقتضى مسلماً ؛ ويقتضى مسلماً إليه منقاداً .
ويقتضى مسلماً فيه ؛ وهو منهج الحياة ؛ فالمسلم هو مَنْ ألقى زمام

حركته في الحياة إلى غيره : يعتقد قدرته إليه في نصريف أمور تلك الحياة : فليس من العقول أن يُسلمَ قادر زمامه لعاجز : وليس من العقول أن يُسلمَ حكيم زمامه لغبي : وليس من العقول أن يسلم عالم زمامه لجاهل.

إذن: مالك الزمام واحد وهو الله ، والله جلَّ علاه عندما أراد عمارة الكون جعل الملائكة في وظيفة مأمورة، والكون في وظيفة مسخرة، وكرم الإنسان فجعله مختاراً فأخضع له الكون يعمل له ويعمل به، وأنشأ له جنة التدريب، ووضع أمامه البدائل ليختار ويهتد الله مراده من هذا الاختيار.

وكان على سيدنا آدم أن يختار الجنة ويترك الشجرة، ولكن حقيقة البدائل لا بد أن تأخذ مجراها، والبقاء للأصلح، فإذا كان آدم نسي ولم يجد له عزماً ، فإله غفر نسيانه وعلمه كلمات فتاب عليه.

ومن هذا المنطلق كان الغفران لمن أذنب، فهو غفار وغفور وغافر وقابل التوب، وهذا من فيض الرحمن على كل إنسان.

أما إبليس الذي وظف نفسه للغواية والإضلال، فإن الله أنذره حسب مطلوبه : لعلم الله سبحانه أن الباطل يتعلمي عن النور. وعند التعامى يضر نفسه، وهنا كانت اللعنة عليه، وعلى من اتبعه.

إن الفكر وليد البدائل. ولولا تدريب آدم على البدائل ما كان الفكر
وهي الخاصية التي امتاز بها الإنسان. ونسأل: هل للفكر عمل فيما
لا بديل له؟

يقول الشيخ: لا عمل للفكر في أمر لا بديل له. إذن: للفكر عمله
في اختيار البدائل. وهنا يأتي العقل ليقول: هذا نفعله: لأنه أنفع
من هذا. وهذا هو الرقي الإنساني الذي امتاز به عن الحيوان: لأن الفكر
عندما يتعطل بجنون، فليس على صاحبه تكليف: لأن آلة الاختيار
عُطِّلَت عنده. ولو كان هناك إكراه من قوى أعلى يسقط عنك
التكليف، فعدم تكليف الجنون وعدم محاسبة المكروه يدل على أنه لا
يمكن أن يحاسب عليه، لأنه مسلوب الإرادة.

من هنا نشأ الفكر في جنة التدريب، وأعطى ظله على الفكر
المعاصر، فنجد أن النشاطات الذهنية أنواع: نوع محكوم بإطار دين
الله. ونوع محكوم بإطار غير ديني. ونوع محكوم من قوم لهم دين
ولكنهم يعيشون في السلب بلا إيجاب. وهذه الأنواع الثلاثة
مصدرها ثلاثة أفكار عاشوا مع الحق وبيدين الحق. وأفكار متدينة بدين
يؤمنون أنه حق. إلا أنهم يعزلون مقومات الحياة عن دين الله.

وهناك أفكار ليس لها دين وتكره كل دين: لأن الأديان جاءت بالحق.
والحق يكشفهم، فليس من الدين عندهم أن يظهر نهاره فيكشف

زيفهم، فهم يحاولون طمس معالم الدين والاستهواء والاستخفاف بشعائره، وعلمائه، وعندما يسمو الفكر مع المنهج تتحقق قضية الله في خلقه في قوله تعالى :

﴿رَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [الذاريات]

ومعنى العبادة في صورتها الإجمالية أن تأتمر بالأمر، وتنتهي بالنهي .

وعندما يتحقق لك أمرية الأمر والانتهاز عند نهيه، فتجد الهموم تلاشت لتعيش مع قوله تعالى :

﴿لَكَيْلًا تَأْسُرُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد : ٢٣]

وهنا تعادل موازين القيم في الإنسان، وفي اعتدال القيم شفاء ورحمة.

هذه الخواطر الفيضية عاش معها شاب أديب، عاش ليلاً حتى ملَّ ظلامه، ووجد الفجر في أحضان شيخه ، فجلس أمامه ليرى السَّحَر . وعاش معه ليرى الضحى . وسار يومه مع شيخه حتى وصل إلى العصر ، ومع العصر استقرت في وجدانه عقيدة التوحيد فسجَّل لشيخه هذا الكتاب الذي عشنا مع بعض خواطره.

هذا الشاب الذي سار على أرض معذبة الكرى، يشق الليل بمصباح
باهت، فلما امتلأ المصباح بشحنة الإيمان كان نوراً من فيض
الرحمن.

أسأل الله أن يطيل في عمر إمامنا وشيخنا حتى يكمل مسيرة
الخواطر، لتتجلى بها الخواطر: جزى الله شيخنا العارف، الذي
استنطق الحرف، وروّض الكلمة، واسترضع الأسرار، ومداها لبناً
خالصاً سائغاً للشاربين: هو فضيلة الشيخ الأمين محمد متولى
الشعراوي.

[illegible]

الاستمتاع بالحياة



الإحساس بالأمن هو هدف الإنسان الضائع في هذا الزمن، رغم أن الأمن والأمان لهما طريق واضح غاية الوضوح، هو أن نعرف كيف نتبع منهج الإيمان من مصدره الأصيل وهو القرآن...

إن الحبة في لدينا بالسنة للإنسان هي حياة قصيرة

زمانها محدد الأمد

ومهم تمتع الإنسان وتعمم بما في الوجود من خيرات ونعيم ومهما حقق الإنسان من لذة وتصبر ومجد، فإن الإنسان يعاني من فرع دائم بسبب مسألتين

• المسألة الأولى: الخوف من الموت، فيترك متاع الدنيا ونعيمها

• المسألة الثانية: أن تروى عنه النعمة أثناء الحياة نفسها.

لذلك فإن الإنسان يبحث عن حياة تؤمن له خيرات الحياة، ولا تروى فيها نعم الحياة

ولأن الإنسان كما أراده الله هو سيد على جميع أجناس الكون

ولأن الإنسان مخلوق من صنائع الوجود

سلك فتأمين الإنسان بحياة لا يموت فيها النعمة ولا تكونه فيها النعمة هذا التأمين يستدعي التأمل في سؤال هو:

- كيف تم خلق الإنسان؟

إن الإنسان لا يعرف كيف تم خلقه .

وليس من المعقول أن يعرف بعقله كيف حُكِّم ، لأن عملية الخلق حدثت للإنسان قبل أن توجد للإنسان أداة معرفة أو إدراك بالحياة

والخلق بالنسبة للإنسان هو «عيب» لا يعلمه الإنسان

لقد فوحى « الإنسان بوجوده في الكون

وكان على الإنسان مهمة شاقة هي أن يعرف ما يلي

* كيف خُلق؟

* لماذا خُلق؟

* من خلفه بيديه؟

وكانت رحلة الإنسان لمعرفة إجابات هذه الأسئلة ولكنها إجابات ناقصة . علمها ناقص وخيالها ضال ومصلل .

وحتى يتفرع الإنسان لمهام سيادته على جميع أجسام الكون ، فإن الله سبحانه وتعالى علم الإنسان ما لم يكن يعلمه

و حين يعرف الله سبحانه وتعالى قصيدة الخلق هي كتابه الكريم «انقرأ» فإن الحق سبحانه وتعالى يعلمنا حقيقة أساسية عن قصة خلق

الإنسان هذه الحقيقة هي أن الإنسان لا يستطيع أن يأخذ حقيقة بدء الخلق من أحد آخر سوى الله .

وأسلوب عرض الخلق العظيم لهذه الحقيقة يؤكد لنا أن الخلق أنفسهم حاولوا من قبل أن يتعرفوا على أسلوب خلقهم عن طريق آخر غير طريق الله فوقعوا في «وقاحة البحث» وارتبكوا في «حماقات» تناولهم لهذه المسألة ذلك أن لتخمين في هذه المسألة لم يصل بالإنسان إلى أية حقيقة

ولذلك لم يترك الله سبحانه وتعالى هذه لفصية دون أن يدلنا عليها في كتابه العزيز «لقرآن الكريم» هذا القرآن الذي جاء مصدقاً بين يديه من الكتب وهو الكتب المهيم على كل الخفائق

ولأن نلاحظ أن كلمة «مهيمن» التي يصف الله به القرآن الكريم، تعني أن الكتب السماوية السابقة على القرآن قد تناولها التحريف

إن الحق سبحانه وتعالى لم يكتف بأن يصف لقرآن الكريم بأنه «مصدقاً بين يديه» من الكتب السماوية لأن هذا الوصف قابل لأن يتسع خيال الصلال ليقول إن لقرآن قد أصابه التحريف

إن الحق سبحانه وتعالى وصف لقرآن بأنه مصدق بين يديه ومهيمن على كل ما سبق من كتب سماوية، وهذا الوصف حكم واضح على أن

ما تختلف فيه الكتب السماوية السابقة على القرآن، فالحكم وقيصل في
الاختلاف هو ما جاء في القرآن

والآية الواضحة الحاسمة في سورة المائدة تقول

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ
وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ
مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مَكُمُ شُرْعَةً وَسَبَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ
جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٤٨) [المائدة]

ومعنى هذه الآية شكر حاسم «إب أنزلنا إليك يا محمد الكتاب
الكامل وهو القرآن، وهو يحسم الحق في كل أتباعه وأحكامه، وهو
موافق ومصديق لما سبقه من الكتب السماوية، وشاهد عليها بالصحة،
وحكم فيما بينها من اختلاف، لأن الله حمى القرآن من التحريف
وحفظه من التغيير، فاحكم بين أهل الكتاب بما أنزل الله عليكم، ولا تتبع
في حكمك شهواتهم ورجائهم؛ فتتحرف عما جاءك من الله من حق

ولقد خلق الله لكل أمة من الناس منهاجاً لبيان الحق، وطريقاً واضحاً
في الدين، ولو شاء الله جعل كل الناس جماعة واحدة لا تختلف

فيما بينهم ، ولكن الله جعل الناس تختلف ؛ ليختبرهم فيما أمره من
الشرع ؛ وليتبين المطيع من العصي ، وعلى الإنسان أن يسارع إلى الخير
لأن مرجع كل إنسان إلى الله وحده ليحزن جميعاً في النهاية بما كنا
نختلف فيه ، ويحازي كلاً منا على عمله

وهكذا نرى الأمر في منتهى اليسر العقلي

إن الكتب السماوية التي نزلت على الرسل قبل سيدنا محمد ﷺ
كانت كتباً تحمى المناهج فقط ، وأى رسول قبل سيدنا محمد كان يحمل
المنهج الإلهي ليلفقه إلى الناس بعده وكلمات من عنده مثلما فعل
سيدنا محمد عندما أبلغنا بعض المنهج السموي بواسطة الأحاديث
النبوية الشريفة .

هكذا فعل موسى عليه السلام : بلغ الناس ما جاء من منهج الله
لكن أحذر بني إسرائيل حرقوا التوراة وقللوا عن التحريف ؛ إنه كلام
الله .

وهكذا فعل عيسى عليه السلام : بلغ الناس بالمنهج الإلهي ، وتلقف
الحواريون كلمات عيسى لينقلوها بلغتهم إلى البشر . وهذا فهو من
المنهج السماوي كن عرصه بلغهم على قدر طاقتهم ؛ ولهذا وصل المنهج
السماوي ناقصاً .

وهكذا نرى أن القصر في الكتب السماوية السابقة على القرآن هو قصر النص غير الموثق من الله .

إن المعنى الذى حياء إلبا من حلال أفواه وعقول بشر ، وبهذا فإن هذه اساهج السماوية كانت تحمل التكليف إلى الرسول ليلبغها إلى من حوله . ثم هى أيضاً تحمل التكليف لمن عرف المنهج من الرسول أن يبلغه إلى الآخرين

وف دامت المهمة هى تكليف فقط . فالتكليف فى حد ذاته معرض لأن يطاع ولأن يعصى

وهكذا رأينا أن الذين حملوا لتكليف بالمنهج السماوى عن لرسول الدين قبل سيدنا محمد ﷺ

رأيتاهم يعصون الله ، ففسوا من منهج الله أجزاء

أو كتموا بعض ما لم ينسوه .

وما لم يكتموه حرفوا فيه

وباليتهم وقفوا عند هذا الحد .

لكهم بم بقفوا . بل أضافوا من عندهم أشياء وقالوا . هى من عند الله

وبهذا نزلت آية لكرامة في سورة البقرة

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسُونَ ﴾ (٧٩) [البقرة]

وهكذا نعرف أن النص الإلهي من الكتب السماوية السابقة على القرآن هو نص لم يصلنا بدقه كما أراد الله إليها بصوص غير موثقة كنت بصوصاً تحمل المنهج السماوي عندما وصلت إلى أي رسول ولكن الاتباع حرقوها.

ولهذا أراد الله في بصوص القرآن أن تكون منهجاً ومعجزة، ولم يعد مسموحاً للبشر أن يتدخلوا في المنهج ولا في المعجزة ليس للبشر أن ينسوا^(١) شيئاً، أو يكتُموا شيئاً، أو يحرقوا شيئاً، أو أن يزيّدوا شيئاً

هذا هو حكم الله في القرآن يأتي بالآيات الماصلات في سورة

الحاقة

(١) استعاره بمعنى النسي والتعاضل الناتج عن الإعراض، وذلك مثل قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَمِنْ خَشْرَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَخْلَى﴾ (١٢٤) قال ربّ لم حشرني أعصى وقد كب بصيراً (٢٥) قال كذلك أتت يات فسينها وكذلك اليوم تنسى (٢٦) ﴿ [طه]

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصَرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠)﴾ وما هو بقول شاعرٍ قليلٍ ما تؤمنون (٤١) ولا بقول كاهنٍ قليلٍ ما تدكرون (٤٢) تنزيلٌ من ربِّ العالمين (٤٣) ولو تقول علينا بعض الأقاويل (٤٤) لأحدنا منه باليمين (٤٥) ثم لقطعنا منه الوتين (٤٦) فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين (٤٧) وإنه لتذكرَةٌ للمتقين (٤٨) وإنا نعلم أن منكم مكذِبين (٤٩) وإنه لحسرةٌ على الكافرين (٥٠) وإنه لحقُّ اليقين (٥١) فسبح باسم ربِّك العظيم (٥٢) ﴿

[الحاقة]

ذلك هو القرآن، يحسم قضية أنه مهج ومعجزة. إن الله يقسم بما يبصره الإنسان وما لا يبصره. إن القرآن من الله خالق الدنيا جاء على لسان رسول رفيع المكانة ليس قول شاعر ولا كاهن. فقد سبق أن جاء المهج لمشر كمهج فقط على ألسنة لرسول، ولكنه تعرض للإنساء في ذاكرة الإنسان

١) جاءت هذه الآية في القرآن مرتين الأولى هذه التي هي سورة الحاقة، والمقصود بالرسول هنا هو سيد محمد ﷺ فالقرآن من قوله على سبيل أنه الناطق به، وحلَّ له والثانية هي سورة التكوين ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩)﴾ ذي قُوَّةٍ عند ذي العرش مكبرٍ ﴿٢٠﴾ [التكوين] والمقصود به خريز عليه السلام

فهو القرآن ، تنزيل محفوظ من رب العالمين ، الذي تعهد الشريعة بأن يخلق فيها قسماً من نوره ليهدى من أحلاق الإنسان ويحسن تربية الإنسان لنفسه لكن لو دعى أحد على الله كمات لم يقلها فليس هناك ما يمنع من أن يدل عقاب الله ، وليس هناك من البشر مهما بلغت قوته من هو بعيد عن عقاب الله .

والقرآن منهج ومعجزة ، منهج ينير طريق الذين يمشون لأوامر الله ويجتنبون ما أمر به جتنابه ولكن هناك من يكرر ذلك رغم أن القرآن حق ثابت

هكذا يرى أن الله أنزل نصاً واضحاً كمعجزة ومنهج ولا دخل فيه لأحد من البشر ؛ لذلك سيبقى القرآن إلى آخر الزمان ، فالكتب السابقة عني القرآن كلف الله أهدها أن يحافظوا عليها ولكنهم لم يحافظوا عليها ، أما القرآن فالله حافظه ، يقول الحق سبحانه :

﴿ إِنَّا بَحْنُ بَرُّنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٩) [الحجر]

وعلى ما في القرآن من إعجاز وبيان ومنهج ، إلا أنهم ينكرون ذلك لصلالهم

تأمل كلمات الله في سورة المائدة

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا
لِلدِّينِ هَازِمُونَ وَالرُّبَابِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ ^(١) بِمَا اسْتَحَفُّوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ
وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَحْشَوْا النَّاسَ وَاحْشَوْا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا
قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٤٤)

[مائدة]

ما هو حدث قدره يقص علينا قصة قوم موسى الذين برئت إليهم
لتورة بحق وإهداية وبيان لأحكام لتي يحكم بها النبيون الذين أسلموا
له . وكلف اليه أتباع موسى بحفظ هذه التعاليم وألا يستبدلوا بما يمكن
أن يتيح لهم الكسب ، فكيف فعلوا عكس ما أمر الله . إن القرآن يحكي
قصة التكليف والعصيان ، تكليف الخلق لقوم موسى بالاستحفاظ على
ما قد لبي موسى من أحكام . لكن قوم موسى أهذروا التوراة ولم
يقوموا بالوفاء لرسالة الله

إذن فانقران محفوظ بحفظه ، لأن حفظ البناء والحكم ثابت بالوضع
والنص

هكذا يرى أن بقاء القرآن حياً هو مهمة من بيده مقاليد السموات

(١) الذين هادوا ، هم اليهود ، وأصل الكلمة التوبة والرجوع إلى الحق . والرهبان هم
العلماء النجباء أما لأحد منهم العلماء المنجربون في العلم

والأرض؛ ولذلك لم توكل هذه المهمة لأحد من الشر وكأنت معجزة القرآن أنه «مسيح للحياة ومعجزة إلهية في أن و حدة»

أم هيمنة القرآن على كل ما سبقه من مناهج، اسبب فيها أنه غير قابل للتحريف، والتكليف فيه للإنسان واضح ومحدد، ولقد تناول القرآن المسألة لكومية من بديتها إلى نهايتها، حتى لا يترك بعد ذلك أي نقطة دون توصيح ولا يترك أي سؤال دون إجابة يدي من السؤال عن مهمة الإنسان في الحياة، إلى مسألة كيفية خلق الإنسان إلى مسألة الحركة التي تنبعث من الروح في مادة الإنسان، إلى حركة القيم التي على الإنسان أن يتمسك بها كمسيح في الحياة كل ذلك أراد الله للقرآن أن يعطيه وأب يشرحه حتى يتحقق لقرآن أنه المهيمن على كل الكتب السماوية ولو أن المسألة كانت مجرد رسالة فهي وصية في حلقة من حلقات الإنزال السماوي لو كان الأمر كذلك لاكتفى الله في القرآن بأن يأتي الزائد فقط من منهجه.

لا .

إن القرآن جاء بكر المسائل من أساسها

و حين نتكلم في الإنسان فالكلام في مسألة الإنسان تعني أننا نتحدث في معرفة كيف خلق الله ذلك الإنسان

إن الله سبحانه وتعالى يترك للبشر في صناعتهم أن يصنعوا أشياء

كانت معدومة ، يمدنا الله بالعقل لفكر ، وبإددة لنصنع منها ما نشاء
لكن صاغتنا تختلف عن صناعة الله .
مثلاً .

هدانا الله أن نصنع كوباً لنشرب فيه

لكن قبل أن يصنع البشرية الكوب كان البشر يشربون

إذن ما يصنعه الإنسان يؤدي إلى ترف في حياة الإنسان

وما صنعه الله هو الضرورات التي تتوقف حياة بدونها ، والحق
سبحانه وتعالى يكفل بنا الضرورات الأساسية للحياة ، وهو معجرة
يحب أن ينتبه لها العقل البشري .

إن ضرورات الحياة هي التي امتلكها الله وصنعها الله ورث ملكيتها ،
وهذا دليل على أن الذي فعل ذلك ذو حق مطبق ، لا يترك صعيده
أو كبيرة في حياة الإنسان .

إننا إذا تأملنا درجات ملكية الأساسيات التي تكفل الحياة نجدها
الطعام والشراب والهواء ، فإذا كان الطعام من إنتاج الأرض ، ويمكن
لنشر أن يتدخلوا في إنتاجه وصنعه . فإن الحق سبحانه وتعالى قد صمم
جسم الإنسان بحيث يتحمل الصبر عن الطعام مدة تطول عن أسابيع ،
وعلى حسب ما في الجسم من شحم وخم

وإذا كان الماء يحتاج للإنسان إليه بدرجة أهم من الطعام فإن الله صمم

حسب الإنسان بحيث يسمح له بالسحب من الماء ثلاثة أيام وقد تطول إلى عشرة أيام وانه أيضاً يمكن للإنسان أن يتدخل في ملكيته كالآدم التي تملكها القبائل أو مصادر المياه المختلفة

ولكن الحق سبحانه وتعالى خلق الهواء في كل الوجود ذلك أن الإنسان لا يطيق الصبر عن الهواء؛ ولذلك فالخلق سبحانه وتعالى لم يجعل الهواء في إطار ملكة أي إنسان

ومن الممكن أن يتحكم إنسان في طعام شر آخري فيصروا أياماً لأن في نفس البشرية والأحاساد لآدمية رصيداً قوياً تعيش به فترة إلى أن تتحسب اليد المسيطرة المذعة للطعام عن سيطرتها، أو إلى أن يفكر الإنسان في حيلة يصل بها إلى الطعام، أو أن يلجأ الإنسان إلى مكان آخر يطلب منه الطعام، أو أن تنزل الرحمة في قلب المتحكم في الطعام، فيعرف أنه خليفة لله، ولا يصح أن يبيع ما أعطاه الله له عن الناس

والماء من الإنسان لا يعيش دون الماء فترة طويلة لذلك كان احتكار الطعام أكثر من احتكار الماء؛ لأن حاجه الإنسان إلى الماء أقوى من حاجته إلى الطعام

أم الهواء فلما أن تتحسب ماذا يحدث لو امتلك إنسان حق نفس إنسان آخر؟ إن الله لم يجعل للهواء ملكية في يد أحد؛ لأنه يعلم أن للهواء عنصر ضروري لحياة الإنسان، ولا يمكن لأي إنسان

أن يصبر عن أهواء

وفي ترتيب الملكية للضروريات الأساسية حياة الإنسان تدير إلهي له
مطلق القدرة .

إنه تدير إلهي له مطلق الحكمة

وهكذا يرى الذي خفينا من عدم ولم يحل علينا ، بل أمداً بكل
عطاء

يساهد ، انهم ننقل قصة الخلق حتى الحق حل وتعالى لنا

وهيا يرى ماذا ترك الله لنا من أشياء لتصنعها

ولتقارن بين ما خلقه الله وما خلقه الإنسان .

إن ما يصنعه الإنسان يتجمد في حدود ما صنع الإنسان . . صنع

الإنسان الكوب فلا يتحرك الكوب ولا يمشي ولا يتزوج أو ينتج سلاً
من الأكواب

إن ما يصنعه الإنسان يتجمد عند حدود لشكل الذي أوجده الإنسان؛

ذلك أن الإنسان لا يملك من أمر الروح شيئاً ، لأن الروح من أمر الله

وقد شاء الله لنا أن نعرف أن لكل شيء صانعاً . وهو صانع

الإنسان وصنعة الله تتجدد وتكرر وتتأسل وتتحرك ، ولا حدود

لإبداع الله في حركة الإنسان

أما الإنسان فصناعته محدودة، إذا ررع الإنسان شجرة فهي تطرح ثماراً وليس في مقدور الإنسان أن يروع شجرة تثمر أكم اناً

إننا نعلم أن كل شيء مهما كان فيها لا بد له من صانع حلقه، وعلى قدر سمر الصنعة تكون مكانة الصانع

تتحدد صنعة الإنسان عند حدود وجوده

وتسأل صنعة الله بلا حدود بأمر هو «كن فيكون»

ولا أحد من البشر يملك تلك لقدرة «كن فيكون»

لا أحد من البشر يملك إطلاق الخلق

لا أحد من البشر يملك قدرة الخلق من عدم

وهم يصبر الله سبحانه على الإنسان بأحلى الصفات فقد

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالةٍ من طينٍ (٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي

قرارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا

الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَرْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ

أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)﴾ [المؤمنون]

إن الإنسان عندما ينظر إلى أصل تكويبه يجد حلاصة الطين، ثم بعد ذلك نطفة أي ماء فيه كل عناصر الحياة الأولى، وتستقر النطفة في

لرحم وهو مكان محصن باللين، ذلك أن الرحم لين من أنسجة لينة تقع بين عظام حوض المرأة، وهو من أصلب العظام في سنوات إنجاب المرأة، وعندما تستقر المنطقة ويتزاوج الحيوان لنوى بسويضة المرأة يصبح الناتج قطعة من الدم التي تتحول إلى لحم ثم تصير هيكلاً عظمياً، ثم يتم كساء العظم باللحم ثم فى تمام الخلق ينزل الطفل مختلفاً عن البداية التي بدأ منها ولا يوجد من هو أقدر إبداعاً من الله^(١)

هكذا يرى أن خلق الله للإنسان فيه تكريم للإنسان

وحسن الله للإنسان قدرة أن يصنع بعض المصنوعات التي تطوّر حياته، ولكنها لا تصل إلى قدرة الخالق الأعظم

خلق الله الإنسان من عدم، ثم تكاثر الإنسان ونما

هكذا أنصف الله الإنسان

وما أجدر الإنسان بأن ينصف الله، فيعترف بأنه سبحانه وتعالى أعظم الخالقين

منح الله الإنسان سيادة الكون

«أليس خالق الدنيا يحدير أن ينته إلى عظمة قدرته، وأن تملك الانتباه لفهم عنه»

(١) عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم يجمع حنقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مصبه مثل ذلك، ثم يرسل له ثلاث فيفج منه الروح فيؤمر بأربع كلمات يكتب ورقه وحده وعمله، وشئى أو سعيد» أخرجه البخارى في صحيحه (٣٢٠٨) ومسلم في صحيحه (٢٦٤٣)

من هيفس الرحمن	من هيفس الرحمن	من هيفس الرحمن
من هيفس الرحمن	من هيفس الرحمن	من هيفس الرحمن
من هيفس الرحمن	من هيفس الرحمن	من هيفس الرحمن
من هيفس الرحمن	من هيفس الرحمن	من هيفس الرحمن
من هيفس الرحمن	من هيفس الرحمن	من هيفس الرحمن
من هيفس الرحمن	من هيفس الرحمن	من هيفس الرحمن

ق



كلنا نرغب في أن نفهم معنى الجمال في الحياة، فإذا أحسنا به
واتفعلنا بمنهج الله قادنا إلى الرقى من الجمال المطلق - الذي يرى الذوق
وينتج الإحساس بفضيل الإنسان - إلى جلال الله.

قال الحق تبارك وتعالى:

﴿لَدَلَّاهُمَا بِعُرُورٍ^(١) فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا^(٢) وَطَفَفَا بِخُصْفَانِ^(٣) عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا
عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ^(٤)﴾

[الأعراف]

وعندما سبق الشيطان آدم وحواء إلى الأكل من الشجرة التي نهى عنها
الله ، انكشفت سوءة الاثمين ، وكذلك نعرف أنه قبل المخالفة لم تظهر
سوءة ، وإنما ظهرت السوءة بعد المخالفة ، وفي ذلك رمز إلى مهب الله
في الأرض

إن أراد الإنسان أن يعرف صدق المهب الإلهي فلينظر إلى
الكون . إن حركة الكون بالإسلام لا عورة فيها، وإن لم نجد في المجتمع

(١) دلّاهما بعُرُور أي أطمعتهما إيسر في المعصية فان عورهما بالأكـل من الشجرة

(٢) سوءاتهما عوراتهما

(٣) طفف طفلا يخصفان أي يرفق الورق معصه على بعض يستتر به عورتيهما

عورة من العورات ولا سوءة من السوءات فليعلم أن منهج الله
مطلق

ولكن إذا رأى الإنسان عوره في المجتمع يستكرها ويشمئز منها ويرى
فيها كل ما هو فيح وغير حميل فليعلم الإنسان أن منهج الله قد أصبح
معطلاً وحينئذ يجب أن يدرك الإنسان أن المحاللات والعورات هي
حمال في الوجود وليست قمحاً في الوجود كما قد يتخيل الإنسان لأن
العورة حينما تظهر بعد مخالفة لأحكام الله فهي تدل على أن منهج الله
في ذاته سليم ، ولكن النقص في التطبيق ، ولر لم تظهر العورة مع وجود
لمخالفة لكان المنهج غير سليم .

إذن فوجود العورة مع المخالفة دليل على سلامة المنهج

ولهذا نقول إن الحمد في لكون ليس أن يستطيع الإنسان سطر في
الكون فيجد كل شيء جميلاً

لا

إن الحمل في الكون أن تكون ، لتتح متناسقة مع المقدمات

وحتى نريد الأمر وصوحاً فمأخذ مثلاً من الحية إذا نوح تلاميذ
مدرسة من المدارس فقد سطر العصى إلى ذلك نظرة سطحية ويقول
هذه مدرسة جيدة وهذا سجاد حميل لكن النظرة بعمق تستطيع أن

تري أن النجاح لا يكون حميلاً إلا إذا جاء كنتيجة منطقية مع جهتهاد
التلاميذ . وأما أن يسبح التلاميذ كنتيجة بدون مقدمات من لاجتهاد
ولجاح هـ يصبح قبيحاً

لماذا؟

لأن التلاميذ إذا مححوا مرة واحدة دون تقدير للاحتهاد ، فإن ذلك
يعنى أن التلاميذ من يجتهدوا بعد ذلك فيشيع قبح الجهل في الوجود
ويصبح واقعاً

لكن لو محح المحتهد ورسم غير المحتهد ، فإن رسوم غير المحتهد
سيكون هو عين الحمل في الحقيقة

لماذا؟

لأن النتيجة تكون وفق المقلمة

وإذا تعم الناس أن ينظروا إلى الجسمال على أنه نتيجة تتفق مع
المقدمات لعرف الناس أن لقبح في الوجود جمان ، لأن القبح في
لوجود سينبه الناس إلى شيء مفقود من منهج الله ، وكأن لقبح صرخة
تستنجد وتقول

- يا قوم هنا حد من حدود الله معطّل

فلو لم يوجد القبح . . لانتشر القبح في كل شيء سائر في الوجود .

وكذلك يمكننا أن نطرح إلى الالم، إن الألم لدى يتألم منه المريض
بسبب شرأ ولكن هو صراحة تقول «ما نفس هذا داء لا بد من علاجه»
وهكذا يكون الألم نفسه هو طريق العافية، لأن لداء لو ظل ينتشر في
الجسد دون أتم، لذهب الإنسان صحبة للمرضى منحة، ولكن الألم
المصاحب للمرض هو صراحة استجد بأن هناك داء يستدعي العلاج،
وهكذا علينا أن نرى القبح في الوجود، إن القبح في الوجود يدل على أن
هناك جزء معطلا من منهج الله، ونحن نرى أن قبحاً في الوجود قد جاء
نتيجة تعطيل جزء من منهج الله فسنعرف سر القبح وشخصه ونضع له
الدواء

فيكون القبح هو وسيلة إلى محيى الحمال بعد ذلك

إذن

فحين ترى شيئاً لا يعجبك في انكون فقل هذا هو الجمال

لماذا لأن القبح يكشف لك أن هناك شيئاً معطلاً في منهج
الله

ولأنه نرى طر الحمال موجوداً في انكون مع وجود مخالفة لمنهج الله
نفاً قائلاً «لا ضرورة منهج الله، فقد خالف منهج وطل لحمل حميلاً
ولو حود حسناً»

لكن حين يخرج أحد عن منهج الله فسرى قبحاً في ناحية من نواحي
الوجود

ولهذا يجب أن تفسر الجمال بمعناه الحقيقي .

إن الجمال ليس هو ما تستطيعه نفس الإنسان لأن الإنسان قد
يستصعب نشر وقد يستطيب المعصية وليس في ذلك جمال

لكن الجمال بمعناه الحقيقي أن تكون النتائج متفقة مع المقدمات
ولتصرب لذلك مثلاً .

إذا قيل لرسمي انكاريكاتير في لعالم «ارسموا الشيطان»
ورسموا للشيطان فمن منهم يأخذ الحائزة الأولى؟ هل يأخذه من
رسمه أحمل صورة، أم يأخذه الذي رسم أقبح صورة؟

من المؤكد والسليم أن يأخذ الحائز من يرسم الصورة القبيحة
لا لشيء؛ لا لأب طلباً منه صورة للشيطان، ولم يطلب صورة للملائكة

إذن فعيب أن ترى الجمال في الأشياء التي تكون فيها النتيجة متسقة
مع المقدمات مثلاً ليس من الغريب أن يوجد في البيت القذر ذباب
هو يكسا أن ترى بالمقارنة قبح هذا المكان لقذارته، فيعطى الجمال لبيت
انظف إذاً أنت لا تعرف الجمال إلا برؤية بقيضه، وهذه المفردة تبيّن
لك عدم المساواة بين ما هو قبيح وما هو جميل

إن البديهيّات أن يتكاثّر الذنوب مع القذرة ، وأن يكون البيت الطيف
خالياً من الذناب ، نكر لو تساوى القذر مع التنظيف فإن الدنيا كلها تصبح
قدرة

إذن فوجود انقباح هو وسيلة تتعلم بها تأصيل الجمال ومعرفة الحسن
والطيب .

ولنا هنا أن نعرف أن هذه هي رسالة الشر إن رسالة الشر في
الوجود هي أن يخلق الشوق في الناس إلى الخير

بدلك ترك الله عناصر الشر في هذا العالم ليستقي بها عناصر الخير

ولعلنا نعرف ذلك إذا نظرنا إلى التحارب المديدة التي نُحصنُ بها أنفسنا
ضد شر واصح . مثل ذلك أننا حين نخاف من وباء فإننا نُطعمُ الجسد
اخفالى من الكولييرا مثلاً بميكروب الكولييرا بعد تجهيزه ليعطى مناعة
للجسم السليم .

إذن فالشر إن لم يوجد في النفس يجب أن نوجده لرى كيف تتجه
النفس إلى الخير .

ومثال آخر هام

نحن نشعر أن دين الإسلام قد يُهمل من المسلمين كسلاً وقد يهمل
المسلمون دينهم عن غفلة ولكن إذا تعرض دين الإسلام لأى

اضطهاد . فإنك تجد غيرة الإسلام قد تأججت في نفوس الناس جميعاً ،
وأصبح البعيد عن مهج الإسلام يتهافت على موقع نصرة الإسلام

لماذا ؟

لأن المسلم عندما يحس بالخطر أو الشر ، فهو كأي إنسان ذكي يدفع
تجدياً للشر . .

إذن فوجود عناصر الشر هي من معاني الاستسقاء للخير ، وهي
الصرخة التي تنادي دائماً أن هناك شراً يجب أن نقاومه وأن نقاوم هذا
الشر في نفوسنا .

ونعود إلى قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ فدلّاهم بغرورٍ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا
يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما
الشجرة وأقل لكم إنّ الشيطان لكما عدوٌّ مبينٌ ﴾ (٢٢) [الأعراف]

علام يدل هذا الحديث الواضح للقرآن ؟

إن ذلك الحديث الواضح يشرح لنا أن السوءات في المجتمع لا تحدث
إلا إذا تمت مخالفة لمنهج الله

لقد كان آدم وزوجه يأكلان في الجنة ويأكلان بالقدر الذي حدده الله ،

وما دام الأمر هو رمزية للتكليف وعملية تدريب في الحياة فقد يقول البعض من «إن الله في حنة الأجرة سيقول لنا كلوا ما شئتم» وقد جاءت أحاديث رسول الله ﷺ تصور لنا الحنة في الآخرة على أنها استمتاع وفير بلا فصلات^(١) وقد يتساءل البعض منا: «كيف يأكل ولا تحدث له فصلات»

إن الإحالة البسيطة الواضحة هي أنت سأكل في الآخرة بأسلوب مختلف عن تناولنا الطعام في هذه الدنيا

ها هي هذه الدنيا يأكل الإنسان باختياره

أما في الآخرة فالإنسان يأكل ما يشتهي بأمر من الله

ليس في الآخرة سعى وراء الرزق أو أسباب يجري إليها الإنسان

إن «الأسباب» في الآخرة تنتهي، ويعيش في حضرة «المسبب لكل شيء»

إن المهيئ لكل شيء في حنة هو الله، وهو يستطيع أن يعطي الإنسان لذة الصوم وفاعلية الطعام، ولا تبقى فصلات للطعام

ثم... ما معنى لفصلات؟

(١) عن حاتم بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يملون ولا يبورون ولا ينفطون ولا يسخطون قائلين فما بال الطعام؟ قال حبشه ورشح كرشح السك، يلهمون المسيح والحميد كما تلهمون أنفس» أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٣٥)

إن معاشها أن لإنسان أدخل في جوفه أشياء لها مهمة محددة، ثم يستخلص الإنسان منها ما هو مفيد له، ويطرد ما هو زائد أو ضار

إذن فحائق كل شيء يستطيع أن يحلق المهمة لما يدخل في جوفه دون أن يكون بها ما يطرد أو ما هو زائد عن حاجته أو ما هو ضار

و آدم و روحه عندما أو حدهما الله في «حمة التبريد» كانا يأكلان تأمر الله يأكلان من هذا ولا يأكلان من ذلك يأحدا من العذاء على قدر الصدقة وليس هناك فضلات

لكن لما داقا الشجرة. بدأ اختيار الاثنين يدخل في العملية وبدأت المعدة والأمعاء في عملها من تحمير لطعام وطرده للزائد وقد يقودنا ذلك إلى سؤال هو:

ما الفرق بين المخرحين وهم العورتان «نقل» و «لثبر» وبين المدخلين: «الأنف» و «المم»؟

لماذا يعتبر المخرحين عورة ولا يعتبر «الأنف» و «المم» عورة؟

يمكن أن نجيب عما يلي:

إن لعورتين تخرج منهما مستقذرات الإنسان، ولذلك جاءت «العورية» من هذا الشأن، وليست «العورية» أن كليهما ثقب، لأن الأنف ثقب ولأن الفم ثقب، ولا يطلو على أي منهما «عورة»

فكأن آدم وروحه قبل أن يأكلا من الشجرة في حنة التدريب كانا يأكلان مما قدره الحق لهما، لكن عدم أكلا من الشجرة فقد أكلا عو صفات نفسيهما، وأعطيا للجسد أكثر من المطلوب وما دام قد حدث اختصار مما أكلاه فلا بد أن يحرج الريح، ولا بد أن يحدث الثبور، وتسه الاثنان إلى أن هذه مسألة غير نظيفة

إن هدار مز على أن من لم يتخذ مسيح الله فسوف تظهر عورته إن هدار مز على أن مسيح الله وقاية للإنسان من أن تظهر عوراته الخسية أو المعوية

أم إذا ظهرت لعورات فنعلم أن مهجاً من مناهج الله قد عطل وإنه حل وعلا بعد أن استوفى التجربة مع آدم وزوجه : أمراً ، رهياً ، وتحذيراً من النفس ، وتحذيراً من الشيطان ، واختباراً بلوقائع^(١) انتهى كل ذلك إلى أن المحالفة أدت إلى اكتشاف عودة وصدر الأمر السماوي

أنت أخذت التجربة والتدريب يا آدم . إذن خذ هذه التجربة وبرودها واحرج إلى لأرض تبشر مهمتك في الوجود أمراً وبهياً (١) وذلك أن الله سبحانه قال ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥)﴾ [لقرة] أمر بسكنى حنة والأكل مما فيها ، وبهى عن الأكل من شجرة حده لهما لبعث الاختبار

وتحذيراً من إبليس وتحذيراً من أن تدو لك عودة محالفتك لمهيج الله
واعلم أنك إن غفلت عن شيء ثم استغفرت الله وندمت على ما
فعلت فعلم أن الله يقل التوبة ويعمر لزلّة. ما دامت ليست
في قمة الإيمان، لأن ذلك يعنى الشرك أو رد الأمر على صاحب
الأمر

بعد ذلك. قال الرحمن لآدم

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبَعَ هُدَايَ فَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣٨)

[انقرة]

هذا مهيج لتكليف إن اتبع هدى الله يعاد للإنسان من الخوف
والحزن.

ويكرر ذلك بشكل آخر في آية أخرى

﴿ قَالَ اهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا نَعَصُوكُمْ لِعَصِّ عَدُوٍّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى
فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (١٢٣)

[طه]

هذا تأكيد على أن الإنسان في الأرض له منهج سماوى تم تدريسه عليه
لكي يقيه من الضلال والشقاء.

لكن من يخرج عن مهج الله فإن الآيات الكريمة توضح طريق من

يحرج عن هذا المذهب.

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ دَعْوِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ (١) وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (٢) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (٣) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (٤) [مَلِك]

هذه الطريق من يخرج عن مهج الله

إذن فإدم حين رل إلى الأرض إنما رل بمهح تدريبي حتى لا يؤحد لإسان على عرّة مهح بطري تقوم على أسسه حركة الإسان في الحياة

إن الإنسان الذي يمتدح مذهب السماء يصمم السلامة وأحياءه في طي هذا المذهب، أم من يتعد عن هذا المذهب فإن له معيشته الضئيلة، وأفق هذا العصر أن البعض يفسر حياة المصنف على أنها قلة المال والفقر وأنا أقول لا.

المعيشة الصَّكَّ هي أن يحد الإنسان من واقع الحياه ما لا يستطيع أن
بدعه عن نفسه بموته سواء أكانت مالا أو غير ذلك

والْحَيَاةُ الصَّالِحَةُ تَأْتِي مَنْ يُعْرِضُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ. وَكَأَنَّ اللَّهَ يَرِيدُ مِنْ

(١) العيبك الشدة واضيق من كل شيء

عليه أن يكون ذكر الرحمن في تفكيره

ولذلك لم يأمن الله الإنسان على عيشته فجعل للمؤمن به لقاء مع الله كل يوم خمس مرات لإعلان ولائه وذكره لله ، فإن غفل الإنسان ما بين ميعاد صلاة وميعاد صلاة بعدها ، فإن المؤذن يعود ليذكر الإنسان بميعاد الله

وإذا تساءلنا لماذا ؟

نجد الإجابة

إن الإنسان إذا ظل على ذكر الله صغرت أمامه كل مشاكل الحياة ، لأن الذي يأحده لهم من مشاكل الحياة ويخفف من موحية هذه المشاكل ، هذا الإنسان يواحه الحياة في حدود قدرته الضعيفة

أما لدى يواحه الحياة وهمومها بقدرته خالق الحياة فإنه قادر على تخطي كل صعاب الحياة

إن الذي لا يؤمن بالله قوى قادر حكيم يكون معذوراً حين يجزع أمام الأحداث وعندما يضعف أمام المشاكل .

ولكن اندي يذكر الله عندما يقابل العجز والمتاعب ، فإنه يجد الراحة والشجاعة بالإيمان

وسنصرب مثلاً برجل لا يملك إلا جنيهاً واحداً وصاع منه هذا الجنيه . .
 إن هم الرجل وغمه قد يكون فوق احتمال، لكن لو ضاع حيه من
 رجل عنده مائة جنيه أو ألف فهو لا يهتم، لذلك فرصيد لإيمان يقرى
 العزائم فلا يهن الإنسان ولا يصعف ولا ييأس من تجارب الحياة أبداً.

ليس من حق أحد أن يخبرنا عما صنعه الله إلا الله سبحانه وتعالى عن طريق من اختارهم من رسل ، وخاتمهم محمد ﷺ النبي الذي حمل القرآن معجزة ومنهجاً واضحاً .

وكان أسطع بين من تفرد لله بمعرفة كيمية خلق الإنسان و لكونه هو أن خالق للحياة وصنع نفيساً لها وهو الموت

وهذا دليل واضح وحليى على صدق الله بخباره لى فى قصة الخلق والقرآن الكريم حين عصى هذه المسألة وحين صورها لتهدء التصوير ، فذلك هو عطاء الرحمن للإنسان بأول فكرة عن أول شيء يتعلق بوجود الإنسان

* إيجاد البشرية كلها من نفس واحدة :

والأمر الشائى الذى يهتم الإنسان بمعرفته هو أن يعرف إحاطة لسؤال هو

كيف وُحِدت البشرية كلها من نفس واحدة؟

وهذا أمر قد يقف أمامه لعقل البشرى حائراً ، وهى مسألة قال فيها المصللون أشياء هى مرید من الضلال

يقولون : إن جنساً ارتقى عن جنس .

وكأن الله عنده أزمة أجناس

ويأتى القرآن ليصع الأمر فى نصائه، فيقول

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦)﴾ [يس]

وهذا تأكيد على أن الله الحق هو الذى خلق الكائنات كلها على سنة الذكورة والأنوثة، سواء أكانت نباتاً أو حيواناً أو إنساناً أو حتى ما هو خارج علم الإنسان.

ثم يؤكد القرآن الأمر فيقول.

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْحِينَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩)﴾

[الذاريات]

وهذا تأكيد آخر على أن كل شيء خلقه الحق تبارك وتعالى من روحين ذكر وأُنثى

يد:

فلو رأى الإنسان تكاثراً فى شيء فليعلم أن الأصل الأصل لوجود هذا الشيء هو وجود رَوْحَيْنِ هما أصل التكاثر.

والحق سبحانه وتعالى حبيب تحدث عن السيد فى الكون - وهو الإنسان - قال

﴿يَأْيُهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء]

والحق تبارك وتعالى هنا يعطى بداية البداية بالسيسة للإنسان آدم عليه السلام، ومن نفسه خلق حواء، ومهما نشر في الوجود رجلاً ونساء، والوجود كله تأكيد لوحدة الأصل وتنوع الأفراد، والتقوى لله تعنى المعرفة بما خلق، وأن رقابة الله علينا هي الرحمة بنا

فإذا حننا إلى عصرنا الحديث الذي يقدر إنه عصر ارتقاءات وعصر العقل البشرى بطموحاته في الصعود إلى الأحواء الواسعة إذا حننا لهذا العصر فلنأخذ نقول: «إننا نملك علماً اسمه «علم الإحصاء»

وهذا العلم يهتم فيما يهتم بتعداد سكان الأرض

ورداً نظراً الآن في هذا القرن الذى نعيش فيه فقد نجد أن تعداد الكون من البشر قد بلغ أربعين ألف مليون نسمة مثلاً

وإذا انتقلنا إلى القرن الذى قبله فقد نجد أن تعداد البشرية هو عشرون ألف مليون نسمة - مثلاً .

ولم نطلبنا بحسب الأمر عودة إلى الأصل القديم فإنا سجد أن الأصل
يتنهي إلى اثنين : «آدم وحواء» .

إذن فقول لله سبحانه :

﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٤٩)

[الداريات]

هذا القول هو صدق يؤيده الإحصاء .

• إذا انتقلنا إلى شيء آخر هو أن يقول إنسان هذا السؤال

أنا أريد أن أعلم كيف يتكلم الإنسان ؟ ومن أين تعلم هذه اللغات ؟

والإجابة عن هذا السؤال تقودنا إلى معرفة كيف غطى القرآن كل
امسائل التي يمكن للعقل الشرى أن يخصص فيها

إن للسان الذي نتكلم به لا يرتبط بجنسية لإنسان بمعنى أن
الإنسان الإنجليزى لو عاش فى بيئة عربية فسوف يتكلم العربية، وس
يقول أن حسيته إنجليزية وكذلك العربى إذا نقلته من طوخته إلى بيئة
إنجليزية فسوف يتكلم الإنجليزية

إذن اللغة ترتبط بوجود الإنسان فى بيئة ما، ولكنها ليست حنسية
مستمرة للسان، بل هى مظهر اجتماعي

ما تسمعه الأذن . . يحكيه للسان .

إن لم تسمع الأذن سوى اللغة العربية فلن يتكلم اللسان إلا للغة
العربية

وكذلك إن لم تسمع الأذن سوى اللغة الإنجليزية فلن يتكلم اللسان إلا
اللغة الإنجليزية

وإذا سمعت الأذن للعتين لعربية والإنجليزية فسوف يتكلم اللسان
العتين .

إذن . .

اللغة أنة المحاكاة .

ما تسمعه أذنك يحكيه لسانك

وما دام الأمر كذلك وعرف أننا تكلمنا ، لأننا سمعنا أذننا يتكلمون
فقد نتساءل أيضاً

- كيف تكلم أباؤنا؟

وإذا بحثنا عن أصل الكلام فإننا نصل إلى آدم
وقد نسأل :

- من أين سمع آدم؟

ها يأتي قول الحق الصديق المقتدر . فيقول ن

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ^(١) (٣) ﴾ [البقرة]

وهذا هو الصدق لإلهي المتأكد بواقع الحياة، خلق الله آدم وعلمه أسماء لأشياء كلها ^(٢) وخواصها لينمكر في الأرض كخليفة لله فيها، وعرض الله هذه لأشياء على الملائكة وقال لهم أحسروني بأسماء هذه الأشياء وخواصها، لكن أحداً من الملائكة لم يعرف إذن فالقرآن جاء ليغطي كل هذه المسائل.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِّن طِينٍ ^(١) (١٢) ﴾ [المؤمنون]

والطين هذا من بعض عناصر الأرض تلك العناصر التي ما زال يبحث فيها العلم، ووصل حتى الآن إلى معرفة حوالي مائة وثلاثة عشر عنصراً

وقد قام بتحليل الطين علماء غير مسلمين.

حضارة العرب هي التي حللت الطين، واكتشفت أن الطين الذي

(١) أي كنتم صادقين في قولكم أنني إن جعلت خليفتي في الأرض من غيركم عصاني ودينته وأمره وأوصيكم الله، وإن جعلتكم فيها أطمعوني وانعتم أمري قاله ابن كثير في تفسيره (١/ ١٧٤)

(٢) قال ابن عباس هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس إسماء ودواب، وسماها وأرض، وسهل، وبحر، وحين، وجمار، وأشياء ذلك من الأمم وغيرها ذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٧٣)

ينبت فيه الزرع مكوّن من ستة عشر عنصراً.

وحصارة العرب هي التي حلتب الإنسان، فوجدت أنه مكوّن من نفس عناصر الطين الذي ينبت الزرع، وهي الستة عشر عنصراً

إذن لا بد لنا أن نصدق قول الحق تبارك وتعالى عندما يقول أنه خلقنا من طين

لا بد لنا أن نقول هذا صدق عزيز مقتدر، لأن هذه العناصر الموجودة في جسدنا هي نفس عناصر الطين التي تبدأ بالأوكسجين والهيدروجين والكربون والليثروجن والبوتاسيوم والصوديوم والكالسيوم واليود . . . إلى آخر هذه العناصر

ولذلك يأتي قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا

تُبْصِرُونَ (٢١)﴾ [الذاريات]

وهذا تأكيد على أن الأرض فيها الدلائل الواضحة الموصلة إلى اليقين، بأن الإنسان أصله من طين، وغفل البعض عن ذلك

والمؤمن بالله ليس في حاجة إلى دلائل . لكن الآيات جاءت لتلجّم غير المؤمنين بالله، وتطمئن المؤمن أن الله لم يخدعه، وبذلك يكون الذين آمنوا مؤمنين عن صدق، وتكون لحيية كلها لغير المؤمنين

لذلك

فعندما يعصا الله هذه الصور الواضحة عن كيفية الخلق وكيفية
تكاثر بين الروحانيين، ويُنشئ لنا كيف تعلمنا الكلام

وما دام آدم هو أول إنسان.

وما دام الله قد علم آدم الأسماء كلها إذن فلم يبق إلا المصباح

قد تتساءل . . ما المصباح؟

إن المهمة الواضحة ومحددة لكل مخلوقات الله ، فالقرآن الكريم يقول

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) [الذاريات]

هذا تحصر مهمة المصباح بعد الخلق في كلمة واحدة هي «يعبدون»

ما معنى «يعبدون» هذه؟

بها تعنى إطاعة خالق العظيم في أمره «فعل»

وهي أيضا تعنى إطاعة الخالق العظيم فيما بهي عنه «لا تفعل»

عن استقام الإنسان على هذا المصباح تكون الصنعة قد محبت

وصنعة الخلق هي الإنسان . .

وكل صانع يقدم أسلوب استخدام وتشغيل وعمل ما يصنعه، وذلك

حتى يكون ما صعه في أجمل وأعلى صورة

وكن ما عندما يشتري آلة ما فيه يسأل عن كراسة المواصفات التي
تعمل بها هذه الآلة ، لأن كل من يدفع ثمناً لآلة فإنه يريد ها أن تتمكن المهمة
التي اشتراها من أحلها ، وإذا أخطأت الآلة فإن الأمر يعود إلى سجين
إما لفساد فيها فيعود بها من اشتراها إلى من صنعها ، وإما أن يكون من
أدار هذه الآلة قد أخطأ في أسلوب تشغيلها

وفي الحادة الشدة فإن من يدير الآلة يسأل عن أخطأ في أسلوب تشغيله
لآلة

والخالق لعظيم سبحانه وصنع بنا أسلوب إدارة أنفسنا ووضع لنا
المنهج .

واختار الإنسان خليفة في الأرض

وأرسل الأنبياء والرسل بالمنهج .

وكن محمد ﷺ أنسى اختتم صاحب منهج ومعجزة في وقت
واحد . . . هذا المنهج المعجزة هو القرآن

ومن يتبع المنهج تكن حياته من لون آخر

حياة سعيدة

حياة غير متضاربة مع الغير

حياة لا تأتي فيها نعمة ما ر «كدر» أو «غم» أو «هم» بعدها

لكن من يحيا بلون المنهج فحياته تختلف

تتحول حياة من لا منهج له إلى قلق وتنافر وخصام وتمرد على
الكون.

وإذا سألت : لماذا؟ فإننا نقول ما يلي

إن صانع الحياة أراد لمن خلقه أن يؤدي مهمته على وجه الدقة . ومن
لا يؤدي مهمته على وجه الدقة فإن حياته تصطبب ؛ لأنها تسير مخالفة
لمن صنع الحياة

إذن هذا المنهج قد جاء ليمنح للإنسان حياة جديدة

صحيح أن الحياة العادية تبدأ من لحظة دخول الروح في المادة ويتحرك
الإنسان ، ولكن المنهج يجعل الحياة سعيدة ، ويسلم الإنسان حياة كاملة
لا تفوته فيها نعمة ، ولا يفوت فيها نعمة ؛ ولذلك يقول الحق تبارك
وتعالى

﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي

الحيوان لو كانوا يعلمون (١٤) ﴾

[العنكبوت]

وهذه معناه أن الحياة دون مسيح قد تعرى الإنسان عن متاع محدود
لوقت، ولكن الحياة هي طين المسحوق تؤدي إلى دار حياة حقيقية ركنية،
وهذه حقائق ثابتة لا يدرها إلا من كان له الإدراك لصحيح

وهذه حياة حقيقية لأنك لن تترك نعيماً أو يتركك نعيم، إن هذا
يحدث عندما تعيش مسيحاً في الأرض وتحييه مائلاً مستقراً.
بذن.

إن له معلماً أن هناك روحاً أولى تدخل المادة، فتصير كائناً يتحرك
ويصل، ولكن هناك روحاً أخرى هي روح الإيمان تدخل على الكائن
الحى لتعطى له القيم
هناك - إدين - روحان .

روح للمدة الأولى وهي التي تمنح الكائن الحياة
وروح القيم التي يمثلها مسيح الإيمان .

و لقرآن يشير إلى مثل هذه المسائل في إشارات معبرة
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٢٤)

[الأنفال]

وهذا يعنى لدعوة الخاصة للذين يصدقون باحق، وأدعوا له ، أن
يستجيبوا لبدء الله وأوامره، وأن يستحيوا للرسول ﷺ في تبليعه ما يأمر
به الله ، ولنعلم أن الله تعالى قائم عالم بقلوب ويفدنا من شهوات النفس
إذا اتجهنا إلى المنهج المستقيم

لأن الإنسان له حياتان

حياة الأولى الرعناء

والحياة الثانية لأكثر ارتقاء ورفعة واكتمالاً تلك هي الحياة التي
يريدهاب القرآن .

ولذلك فبما إن لم يستمع إلى منهج الله فلن يجد الحياة التي لها
قيمة وستبقى روح تعطيها الحس والحركة ، روح رعناء يتسوى فيها
المكهر والمؤمن ، لكن روح القيم عندما نتبع المنهج نفودنا إلى نشأة حياة
حقيقية ، ولذلك سمى الله الروح الداحلة في الجسم مد أن خلق
الإنسان حنياً في الرحم بكلمة «روح»

ولذلك سمى لله المنهج انذى يعصم به الإنسان للوصول إلى القيم
العلي «روحاً» . فيقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وكذلك أوحى إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتابُ
ولا الإيمانُ ولكن جعلناه نورا نَهْدِي به من نَشَاءُ من عبادنا وإنَّك
لنَهْدِي إلى صراطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٥٢) ﴿ [انشوري]

هكذا يرى أن الله سمى لمنهج الفرائى «روحاً»، وعرف من قبل أن
روح لإنسان الأولى لتي تعث فيه حياة والحركة سمها «روح» ومن
ذلك عرف أن هاك «روحاً» تجعل الكاش الحى يحيا حياة القيم وهى
حديرة بأن تسمى «روح الروح»

سمى الله القرآن روحاً

سمى الله للملاك الذى برل بالقرآن «الروح الأمين»

إذن ولهم فى مدارات حياة لبست الروح الأولى لتي يتحرك به
احسد الإنسانى، والتي يشترك فيها لمسلم والكافر

اهم هو أن يصل لى روح لروح أى الحياة بالمنهج لنصل إلى
تحقيق القيم

لذلك

وليس يأخذون من الله عطاءه فى الروح الأولى، ولا يأخذون عطاءه
فى الروح الثانية هؤلاء لا يأخذون احياة بمعناها الحقيقية، ولا يصلون

إلى أمن النفس أو استقرار الإيمان ، أو عدم تعارض حركة إنسان مع إنسان ولكن الذين يأخذون الروح لشاية هؤلاء يصلون إلى حياة لا يزول فيها الإنسان عن النعيم ، ولا يزول نعيم ما عن الإنسان أبداً

ولو تخيلنا أن الإنسان قد جرد نفسه من روح القيم ، روح المنهج ، روح القرآن ، لروح الذي نزل به الروح الأمين . لو تخيلنا هذا الإنسان لوحده حائراً ، لا يعرف له نظام حياة أو قدرة على التعايش مع بشر آخرين .

إن الإنسان لكي يحب في مجتمع لا بد له وللمجتمع من نظام يكمل الحركة ، وحتى عبر الزمنين بالله يضعون قوانين تحكم تصرفات البشر بعضهم مع بعض ولكننا نرى أن القوانين التي يصنعها البشر تتعرض للعجز والتبديل .

وبذلك فلا بد من وجود مُقَنَّن من غير البشر ؛ لأن الإنسان الذي يضع انقايون قد يضعه ويصممه بما يخدم هواه

فالذي يرغب في أن يكون رأسمالياً يقنن للرأسمالية .

ولذي يرغب في أن يكون ماركسياً يقنن للماركسية

وهذا ، وذاك كُلُّ منهما لا يقدر على نفسه وهواه ؛ فيقول إن قضية الدين كذبة قد يقولها أحد علانية ، وقد يقربها آخر مستترة وكلاهما

غير قادر إلا على الكبر وكبرياء الفكر فيقول . إن قصيدة الدين كاذبة ،
ولا يوجد هناك يوم آخر أو حساب

لكن بعضهم يعود إلى الاطمئنان إلى منطق حق ، ويدخل إلى رحاب
ربه ؛ فيسلم ويؤمن بنية حياته

من فيض الرحمن	من فيض الرحمن	من فيض الرحمن
من فيض الرحمن	من فيض الرحمن	من فيض الرحمن
من فيض الرحمن	من فيض الرحمن	من فيض الرحمن
من فيض الرحمن	من فيض الرحمن	من فيض الرحمن
من فيض الرحمن	من فيض الرحمن	من فيض الرحمن
من فيض الرحمن	من فيض الرحمن	من فيض الرحمن
من فيض الرحمن	من فيض الرحمن	من فيض الرحمن
من فيض الرحمن	من فيض الرحمن	من فيض الرحمن

اللغة قبل تساوي الألف



الملة دون مبدأ تساوى الألم دون حدود، وهذه هي الأسباب . كان لا بد أن يتعرف آدم وزوجه على العراقيل التى تتعارض مع مهمة الخلافة فى الأرض ، ولأنها رغبة النفس فى الشهوة العاجلة وقبول النفس لتزعجات الشيطان .

إن الروح التى ينفخها الله فى اامادة لتتحرك وتحس ، هى غير الروح التى يعطيها الله فى منهجه القرآنى

فالروح الأولى تعطى حياة يشترك فيها المؤمن وغير المؤمن

والروح الثانية هى التى تعطى حياة أسعد وأحلد وأفضل ، وتلك هى الحياة الحقيقية

وقضية الخلق لأول جعل الله فيها كل عناصر لكون إلى أن تقوم الساعة ؛ لأن التكليف من الله يتطلب أمرين

أمر بـ «افعل»

وأمر بـ «لا تفعل» .

ولا يمكن أن يصدر التكليف من الله تعالى دون توصيح وتفسير ونعيم ، إن التكليف يتطلب أن يبصّرنا الله بالعراقيل التى تصادم مع التكليف سواء من رغبة النفس فى الشهوة العاجلة ، أو من نزغ الشيطان للوسوسة للنفس ابشرية فيما يحب من عاجل المدة

ولم يشأ الحق سبحانه وتعالى أن يخلق آدم عليه السلام وزوجه ويرمى بهما في الكون دون أن يدر بهما تدريباً واقعياً على مهمة الإنسان في الكون وعلى خطه ومسئولته بالتكليف وعلى غفاته بالشهوة

فدء حق سبحانه وتعالى أن يعطى آدم وزوجه التجربة الحسية المادية، حتى يستقلا خلافة في الأرض استقبلاً مدرّجاً ليكونا لزوحين الدين يتكثر منهما الوحد كله، ويجعل منهما ومن سلهما خلافة في الأرض، لذلك لا بد أن يكون دم وزوجه على معرفة بالعراقيل التي تتعارض مع مهمة الخلافة في الأرض

• رغبة النفس في الشهوة العاجلة.

• نزع الشيطان للوسوسة للنفس فيما تحب من عاجل اللذة.

وإذا نظرن إلى الشر عندما يريدون تنفيذ عملية من لعميات أو إنجاز مهمة من المهمات التي تحتاج لمهارة ما فإن الشر لا يأتون بالأشخاص المختارين لهذه المهمة ليؤحوا بهم في حصم الأعمال التي تحتاج لمهارة دفعة واحدة، وإنما يأحدون الصفوة المختارة ليؤربوهم على أعمال المهارة تدريباً جيداً يؤهلهم للقيام بالمهمة.

وأثناء التدريب قد يحطىء ببعض فيتم التصويب، ذلك لأن هناك فرقاً بين عملية «التربية والتدريب» وعملية «التأديب»

فالتربية والتدريب يعنى أن تأخذ من تربيته وتدرسه بالطرق التى توصله إلى العاية لمرحوة منه .

إن أخطأ صححت له وعلمته الصواب .

أما عملية التأديب فإن أخطأ فإنك تعاقبه

لذلك بظل التلميذ يتلقى العلم بين يدي أساتذته طينة لعلم .

إذا أخطأ التلميذ صوّب له المعلم بالقلم الأحمر

لكن إذا ما جاء لتلميذ فى نهاية العام ليمتحن فى العلم لا «يصوّب»

للتلميذ أخطاءه ، ولكن «يحاسبه» على «الصواب» وعلى «الخطأ» ويضع

له درجات يكون بها النجاح أو الرسوب

كذلك الحق سبحانه وتعالى

أراد الله الإنسان خليفة فى الأرض

ومعنى «خليفة فى الأرض» أى أن الله أمر الوحود أن ينصاع

للإنسان

تخضع الأرض للإنسان

تحصع الحيوانات للإنسان .

يخصع الجماد للإنسان .

ولكن الإنسان الغافى يظن أن ذلك لمهارة الإنسان معه لا .

ورد لك يسهث الله بأن إدعاء كل شيء لك وكس كائن لك ليس
بهارتك الإنسانية، ولكن بمشيئة الله وتسخير الله

بذلك نحد العجب في الكون

نحد حملاً يقوده طفل صغير

و نحد شعباً لا يستطيع أشجع الشجعان أن يقربه

يهم أكرم؟

لحمل أم الشعبين؟ ..

هذا الحمل الكبير ذلله الله للإنسان

وهذا الشعبان الضئيل بركة الله فلا تذليل للإنسان حتى يبه الله
الإنسان إلى أن قدرته محدودة بحلوله، وتعرض إلى ما تستطيعه وإلى
ما لا تستطيعه

لذلك يقول الحق في القرآن

﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ

(٧١) وَدَلَّلْنَاهَا (١) لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢)﴾

[سورة يس الآيات ٧١ ، ٧٢]

(١) دللناها منحربناها، وجعلناها طوعاً وإرادكم

إن أحداً لا يستطيع أن يذلل الرغوث الذي يقرصه وهو نائم، ومع ذلك يدل الإنسان المبل

إذن فاسألة ليست خاضعة لقوة الإنسان أو مهارته فقط
لكم الذي خلق الإنسان هو الذي ذلل للإنسان بقية المخلوقات
ولو لم يدل الله للإنسان المخلوقات - استطاع لإنسان أن يفعل ذلك
عمره

إذن . .

فيجب أن يظل الإنسان في مرتبة الخلافة

إياك - أيها الإنسان أن تظن نفسك أصيلاً هي الكون

ذلك أن فساد الكون يبدأ عندما يعتقد الإنسان أنه أصيل في الكون
لذلك يأتي بيان الحق سبحانه وتعالى للإنسان، أنه قِيُوم فلا تظن أنه
خلق الكون والوأميس ثم تركها تعمل كالآلات من ورائه لا إنه
قِيُوم لا أحده سنة ولا يوم، وإياك أن تظن أنه راول سلطانه وقدرته في
الكون مرة واحدة لا تتحيل أنه سبحانه خلق القوايين ثم ترك القوايين
لتعمل وحدها في الكون .

لا .

لا تزال القوايين بيده سبحانه .

الساموس كنه بيده

الكون كله بيده

وإذا خدعتك الرتبة^(١) والنظم اللذان تراهما في الكون فتذكر أنه
جعل لكل شيء سبباً

فهو سبحانه خلق الأسباب والمسببات

ولكن بين حين وآخر يخرق الأسباب والمسببات ، ليدلّل لك على
أن القوانين لم تخرج من يده سبحانه لتفعل هي .

وهي ذلك رد على هؤلاء الفلاسفة الذين قالوا : «إن الله خلق الأشياء
معللاً ، وترك القوانين تعمل وظلّ الله بلا عمل»

لا

بعد خلق الله القوانين وقال الله للقوانين «اعملی» والله من وراء
القوانين قد يعطلها حين يشاء

لستك حد أن المعجزات التي جاءت على أيدي الرسل عليهم السلام
هي تدكير بهذه القضية ، فلو أن القوانين هي التي تتحكم وحدها لا
جاءت معجزات على الإطلاق ، لكن شاء الله أن يمنح الرسل معجزات
يخرق بها القوانين حتى يبين لنا أن القوانين لا تزال بيده سبحانه هو

(١) الرتبة هي سير الشيء على نظام واحد لا يتحلف

يخلقها وهو يعطيها .

فأنت أيها الإنسان تستطيع أن تُطبق القانون ، ولكنك حين تطبقه لا
تستطيع أن تتحكم فيه ، لكن الله يستطيع أن يخلق القانون وأنت تتحكم فيه
ويتحكم عليه بالتوقف
ولنصرب مثلاً . . .

يستطيع الإنسان أن يمسك بندقة ويجيد التصويب والهدف واضح
أمامه

القاصص يبدأ من لحظة وضع الإنسان يده على الرناد ، فنسطلق
الرصاصه فتصيب الهدف

لذلك لا يمكن أن يطلق الإنسان الرصاص ، وهو يركّز على الهدف
دون أن يصيب الهدف

لكن الله قد يتدخل قد يسمح للرصاصه أن تطلق ولا تصيب
الهدف .

هذا هو الفرق

لتأمل قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام والنار

هل كان لله سبحانه يريد فقط أن ينحو إبراهيم من النار؟

لا

لأن المسألة لو كانت حجة سيدنا إبراهيم فقط لكان قد جعل إبراهيم
يفلت من بين يدي قومه ، أو يجمعهم لا يستطيعون الإمساك به
وكان يستطيع سحابه أن يتركهم يوقدون النار ثم يرسل المطر
فتطفيء

لكن الله أراد أن يمسكو من إبراهيم .

وأن تظل النار ناراً

وأن يقدفوا بإبراهيم في النار

ويأمر الله سحابه النار بقوله

﴿ قُلْ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (٧٩) وأرادوا به كَيْدًا
فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

[سورة الأنبياء الآيات ٦٩ ، ٧٠]

هذا هو كيد الخصوم لله ورد الله عليه

ولو كان الله قد معهم من الإمساك به لقالوا «آه لو كنا أمسكناه
وقصبا عليه . . لكنا فعلنا به كذا وكذا .»

ولو كانت الأمطار هي التي أطفأت النار لقالوا «آه لو لم تبت الأمطار
لكانت النار ستحوله إلى فحم»

ولكن عندما قار الله النار ﴿ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾

[الأنبياء . ٦٩]

فهذا معناه أن معجزة تحققت ، النار لم تعد لها في حالة سيدنا إبراهيم وطيفة ، الإحراق

لقد أتى الله بالمعجزة ليعطي المثل على إطلاق قدرته في انكون ، وليؤكد أن الفوايين التي وصعب الله في الأشياء هي أيضاً بيده ، وأنه بعد أن خلق هذه لقرايين في سيطرته عليها كاملة .

إنه قيوم ودائم القدرة

مثال آخر

قوم فرعون عندما جاءه وراء موسى عليه السلام وأهله حتى يدركوهم .

عندما رأى أصحاب موسى قوم فرعون أصابهم الخوف

﴿ فَلَمَّا تَرَأَىٰ الْأَجْمَعُونَ أَصْحَابَ مُوسَىٰ إِنَّا

[سورة الشعراء]

لَمُدْرِكُونَ ﴿٦﴾ ﴾

قل قوم موسى ﴿ إِنَّا نَدْرِكُكُمْ بِمَطَقِ الْوَاقِعِ ، وَتَوَقَّعُوا الْهَلَكَ عَنِي

(٦) تراءى لجمع أي رأى كل من الفريقين صاحبه

يد جيش فرعون

فماذا قال موسى؟

﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [سورة الشعراء]

قال موسى «كلا» ولو كان قد اكتفى بذلك لقال منطق الواقع إن هذا حيوان مطلق^(١)، لأن جيش فرعون من الحلف والسكر من الأمام لكن مرسى قال ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [٦٢] وهذا عرفنا أن القابول بيد الله

ولذلك كانت معجزة شق البحر

﴿ فَأَوْحِيَ إِلَى مُوسَى أَنْ اصْرَبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّوْدِ^(٢) الْعَظِيمِ ﴾ [٦٣] وَأَرْلَفْنَا ثُمَّ^(٣) الْآخِرِينَ [٦٤] وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ [٦٥] ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ [٦٦] ﴾ [سورة الشعراء]

وكانت معجزة شق البحر عجيبة، إنها تعدى قوانين البحر، حيث إن البحر من ماء، والماء سائل، فكيف ينقسم الماء شئ عشر طريقاً كل طريق يتحمد على جاسه الماء كأنه حبل عظيم، وكيف تتفك سيولة الماء

(١) أي حيوان مستحكم شديد

(٢) الطود العظيم الحبل لصحيم

(٣) ركب ثم الآخرين أي قرب من البحر فرعون وحموده وأديبهم إياه

إلى صلاة الحمل؟

ثم يدخل موسى إلى البحر هو وقومه ويحرق هو ومعه كل قومه ، ثم يحاول موسى أن يصرب البحر بالعصا مرة أخرى حتى يغلقه في وجه فرعون ، فيعطل الله عمل العصا كمعجزة ويظل البحر كما هو ، به طرق واصححة تحمها حبال ، وذلك حتى يرداد غرور فرعون ويدخل خلف موسى ، وبعد أن ينحو موسى وأصحابه يعود البحر كما كان ، مجرد مياه . . فيغرق فرعون وحنوده .

وتكون قدرة انه أنقلد موسى وأهله ، وأهلك فرعون وحنوده بلشيء الواحد . . البحر .

إنها القدرة المطبقة في نواميس الكون

قدرة صديقه ، ولا حدود لها

ولنضرب مثالا آخر :

نحن عندما نستقبل قضية الخلق في القرآن . نجد أن الله خلق آدم ، وخلق له روحه من نفسه ، وخلقنا نحن من نسل آدم

وخلق عيسى ابن مريم من بطن امرأة لا رجل لها ، هذا نجد الخلق على أربعة ألوان

* خلق إنساناً لا أب له ولا أم . آدم

✽ خلق إنساناً من أب فقط ولا أم حواء

✽ خلق إنساناً من أم فقط ولا أب - المسيح .

✽ خلق إنساناً من أب و أم وهو يمثل بقية البشر

وذلك حتى يعرف أن السبب لا يملك الله .

ولكن الله هو الذي يملك كل الأسباب

وحتى يؤكده الله له ذلك شكل أكثر فاعلية فقد يوحد الأب والأم،

والعاصر كلها مستوفاة، ولكن لا أساء لهم

﴿لِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا

لِيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الْدُّكُورَ ۚ﴾ (٥) أَوْ يَزْوَجَهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَّا لَنَجْعَلُ مَنْ

يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ [سورة الشورى]

وهذا هو إطلاق القدرة في الأسباب

وذلك حتى لا تنصب الناس العقدة بالأسباب وحدها دون تذكر قدرة

لله

أذكر أني التقيت مع مستشرق فرنسي اسمه «مليو» في مدينة الرقاريين

مد سنوات بعيدة وكان يقول .

بإيمانكم بالنقصاء والقدر وأن كل شيء بيد الله هو الذي جعلكم

متأحرين ومتحلمين

ومرّت سنوات ، ویشء الله أن ألتقى بهذا المستشرق منذ شهر في الأردن وحدها سيره الثروات العربية في الأمة العربية المتحلقة ولتى شاء الله أن يدل لها المتقدمين بما منح الله العرب بما منحهم من تحت أرجلهم في لأرض ، فقلت لهذا المستشرق

- إن ثروته العرب يمكنها أن تجعلك تفهم أن الله حين جعل حركة سباً لا تسع البرق جعل أيضاً تساع البرق عند غير المتحرك ، وذلك ليؤمن الناس بإطلاق قدرة الله

ولكن العرب يضاً عليهم أن يعرفوا أن لثروة احتار من لله
﴿ لِكَيْلَا تَأْسَرَا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (٢٣) ﴿ [سورة الحديد]

وهذا معناه أن الله القيوم يخلق الأسباب والمسببات

ويخلق الأسباب دون المسببات

ويخلق المسببات دون الأسباب .

ودنك حتى لا تنقطع صلة الخلق بحق سبحانه وتعالى ، ويظلون مرتطبين به دائماً

يخطيء لبشر في تخيل أن آدم دخل جنة الآخرة أولاً قبل أن ينزل إلى الأرض، ولكن القصة تبدأ من جنة التدريب على مهمة الحياة في الأرض.

كانت الجنة التي أسكنها الله آدم وروحه هي التدريب لمسيرة الشريعة، وهو قصة نتعلم الأول للإنسانية كيف تعيش بين متقيين؟

إذا كان المجتمع الإنساني يريد أن يدرّب إنساناً ما على حرفة ما أو مهارة ما فإن هذا المجتمع لا يلتقى بالتطبيقات الخاصة بالمهارة في أدب الإنسان المراد تدريبه ثم بعد ذلك يطلب منه أن يهد هذه النظريات في الواقع

لا

إن لتدريب في مجتمع الشريعة يقضى بأن يأخذ المربي من يريد تربيته ليدربه عملياً على المهمة التي يريد بها مه، فإن أخطأ من يتم تدريبه في فترة التدريب فإن أحدًا لا يعاقبه، ولكن يوجهه المعلم إلى الصواب فقط

وصرب مثلاً بالعلم لدى يعلم بلاميد طيلة العام ويشرح لهم المسائل العلمية فإن أخطأ تلميذ ما فإن الأستاذ يصحح له خطأ ويكتب له الصواب.

لكن حين تأتي نهاية العام ويترتب على الأمر نجاح أو رسوب. فإن

المعلم بصحح ورق الإحانة لا يعرض تصحيح الأخطاء، ولكن يعرض تقدير الدرجات التي تستحقها إجابة التلميذ ريثرتب على ذلك النجاح أو الرسوب

وهكذا كانت قضية التدريب الأول لآدم ولروحه

وطل كثير من لئاس أن آدم بمعصيته لربه أخرج نفسه وأخر حامعه من الجنة، وكان آدم هو الذي أخرجت معصته لكدرح وشقى، وكان من الممكن أن يظل في الجنة إلى الأبد

وهذا النوع من الناس يظلمون أنهم آدم

لأن هذه القصة عليها أن مهمها على أساس الإعلان الأول عن آدم والإعلان الأول عن آدم لم يقل إني خلقت آدم للجنة ثم عصاه فزل إلى الأرض لا.

إن الإعلان الأول عن آدم هو قول الله

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣)﴾ [سورة المزة]

كنت البداية إذن هي اختيار آدم مهمة في الأرض

هذه المهمة هي خلافة دم في الأرض، وليباشر آدم مهمة الاستحلاف فيما سخره الله له

ولكن الله لرحمته بالخلق لم يشأ أن يزج نادم في تلك المهمة التي تعطيه سيطرة على كل أحاسر الوجود فيسخره كم يحب، وري أعطاه ذلك التسخير لو أن الاستعلاء في ذاته فيطش أنه هو الذي فعل بداته، ولا يذكر الفاعل الذي فعل له ذلك كله.

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ (١) أَن رَّاهُ اسْتَعْصَمَ (٢)﴾

[سورة العلق]

إن الإنسان عندما يرى نفسه في ثراء والسيطرة على الكون قد يظن نفسه سريع من الاستكبر - أنه قد فعل كل ذلك بنفسه، ويسى حاله الذي استخلقه في الأرض.

وبهذا قد نخذ الإنسان أنعم ما يكون عن خالقه حين يمتلك أسباب الدنيا من صحة وورق وأمن وأطمئتن وسلامة، ولكن إذا مس لإنسان شيء من الضرر ورأى أن ما يملكه لا يسعفه في إزالة لضرر - عد ذلك لا يجد إلا أن يذكر ربه ويفزع إلى خالقه ليضمن لنفسه الأمن

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا لِحِثِّهِ أَوْ قَعْدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢)

[سورة يونس]

إذن: فقصية الاستخلاف في الأرض والتي يجد فيها الإنسان أن كل شيء مسخر له . قد تجعل الإنسان يسير إلى الطغيان
فما الذي يلمت الإنسان إلى ربه؟

إن الإنسان قد يجد في قوة سيطرته على الأشياء في الكون ما يجعله
يتمادى في العرور

ولهذا يجب أن ندرك سر المحن والكورث في الكون . ويجب أن
ندرك سر المصائب بالنسبة للإنسان .

المحنة أو الكثرة أو المصيبة هي التي تنفض عن الإنسان أسباب
العرور ، وتجعله يلتفت إلى وضعه كخليفة لله في الأرض ، وتعيد له
الفهم والإحساس بقدرة صنع كل أسباب القوة ، وهو الله سبحانه
وتعالى

قد يظن الناس أن مصائب إثماء جاءت للنيل منهم ، ولا يعرفون أن
المحن والمصائب هي التي تنفض عن الإنسان غبار العرور بأسباب قوته ،
وتجعل الإنسان مضطراً دائماً إلى أن يلجأ إلى الحق سبحانه وتعالى الذي

حق كل أساب قوة الإنسان، وخلق أيضاً القيص لهذه القوة، وهو
الضعف أمام الكوارث والمصائب والمحن

إذن . فلكوارث والمصائب والمحن جاءت تتعدّل ما اعوجّ من سلوك
الإنسان وتذكّره بواجب العبودية لله

فمن يطع بالنعمة يلقته الله بواسطة القمة

إذن فالقمة التي نحدث هي لحساب الإنسان، وليست على حساب
الإنسان

ولذلك كان خصوم الإسلام والمسلمين يهزحون حين يرون مصيبة تقع
بأعدائهم المسلمين وتنزل بهم

ويرد الله على حمق أعداء المسلمين، ويريد الله من رشد المؤمنين بأن
يقول:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٤١)

[سورة التوبة]

هذا أمر واضح للمؤمنين بأن ما يصيبهم ليس عليهم، ولكن بصالحهم
تماماً كقنوك فيه «حساب للإنسان» و«حساب على الإنسان».

فهل المصيبة للمؤمن أم عليه؟

انصية للإنسان ويثبت عليه ، لأنها تلفته إلى ربه ، ولو لم تحيء
المصية رعى ظل الإنسان سادراً^(١) في طعيانه ، وحين يظل الإنسان سادراً
في انطغيان فهو ينسى أنه خليفة لله في الأرض ويعتبر نفسه أصيلاً في
لكون ، وإذا اعتبر الإنسان نفسه أصيلاً في لكون فقد حاءت الخيبة كدها
عليه

إذن فحين يلفت الله الإنسان عصبية نصيب الإنسان ، فذلك لأن الله
يريد تصويب حركة الإنسان في الحياة ، وهذا حساب للإنسان وبصاحه
وحين أراد الله أن يدرب آدم على مهمة الخلافة في الأرض فهداه
معناه أن يظل آدم مذكراً وعارفاً لنفسه كخليفة في الأرض ، وليس أصيلاً
يظن نفسه صانع الكون

ويريد الله أن يدكر آدم بعفوات تقف في طريق الطاعة لله ، وهي

• هوى النفس الحمقاء التي تتطلب عاجل الشهوة ، وتنسى عاجل
العقوبة .

ثم العقبة الثانية وهي

• الشيطان الذي يزين للإنسان أن يعصى ربه

فصية العصب في الكون كله إذن تتمثل في أمرين هما

(١) السادر الذي لا يهم شيء ، ولا يبالي ما صنع

* شهرة النفس

* أو الاستجابة إلى إغراء الشيطان.

ويستطيع الإنسان المؤمن اللبث أن يفهم

هل المعصية التي يعصى بها ربه من عمل نفسه أم من عمل الشيطان؟

ودلك حتى لا نطلم الشيطان في كل شيء، وبطل تردد

«الشيطان.. الشيطان»

نقول لمثل ذلك الإنسان

لا فصل أن تستعيد بالله من الشيطان، فإن الله يأمرك أن تستكمل

السيطرة على نفسك بحيث لا تتحرك شهواتك إلى مخالفة ربك

فإذا ما استكملت السيطرة على نفسك فاستعد بالله من العصر الخرج

عنك، وهو الشيطان

﴿ وَإِذَا يَنْزِعُكَ ۚ مِنْ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ۚ

الْعَلِيمُ ۚ ﴾ (٣٦)

[سورة فصل]

أي أنه عندما يوسوس لك الشيطان عما يصرفك عما أمرك الله به

فتحصن منه بالله، والله هو المحيط علماً بكل شيء

(١) برج الشيطان وسوسه ونحوه هي القلب وسوء الإنسان من العاصي [إنسان مادة

منع]

لكن قبل أن تقول . الشيطان . . قلْ لنفسك :

- أهذا أمر أرادَه الله وحدَه بـ «افعل» أو «لا تفعل» ، وذلك حتى لا تُدخل الشيطان عدواً في غير قضية عداوة

ولذلك يقول المحققون إن الإنسان يستطيع أن يعرف ، أهذه المعصية من نفسه أم من الشيطان ؟

فإن كانت المعصية التي يعصى بها الإنسان رثةً سبحانه وتعالى تنحّ عني الإنسان بذاتها ، وكلمة حاول الإنسان أن يصرف نفسه عن هذه المعصية فإن نفسه تحدثه بها فعلى هذا الإنسان أن يعلم أن هذه المعصية من نوع «شهوة النفس» لأن النفس تحب الإنسان عاصياً من لون خاص تريد النفس أن تحقق لنفسها تلك الأخطاء والمعاصي كأنظر إلى المحارم مثلاً يحاول الإنسان أن يأمر نفسه بالانصراف عن ذلك ولكن النفس تلح عليه هذه شهوة من لون خاص ، وخطأ من لون خاص ، من شهوة النفس

إن النفس ترعى بالمعصية الخثرية التي إن سم يقاومها الإنسان سيطرت عليه

أما الشيطان فنه أمر آخر إن الشيطان يريد الإنسان عاصياً دائماً إنه لا يرضى بالمعصية الخثرية إنما يطلب العصيان الدائم فإن امتنع الإنسان على الشيطان في معصية ما ، فإن الشيطان يحاول الدخول إلى

الإسناد من باب معصية أخرى (١)

و يتناع هحوم الشيطان فيما أن تكون قوياً ، وإما أن تصعب تماماً ،
فانه ي شهوته أن يسرق وحاول الامتناع وصرف النفس عن السرقة
هذا الإنسان إذا ما قوم ذلك فيه ينتصر .

أما إذا استسلم إلى السرقة وأتبعها بالرب ، وأتبعه بالإلحاد ، وأتبعه
بالعرق في كل ما لا يرضى لله دون ضمير فهذا هو المستسلم
لشيطان .

وإذا اكتشف الشيطان قوة إسان في الامتناع عن خطأ ما فإنه يبحث
عن ثغرة الصعف لينال من الإنسان ، ويجعله عاصياً مطلق المعصية

وحيث يستطيع الإنسان أن يحدد شكل واضح إذا كنت المعصية
تنتهي يقف عندها ويحاول أن يصرف النظر عنها ، ثم ترجع النفس
بالإلحاح فهذا كما قلنا هو شهوة لنفس .

أما إذا كنت المعصية تتحول وتتبدل وتصبح طريقاً إلى معصية ثانية
وثالثة ورابعة فليعلم الإنسان أن تلك المعاصي من الشيطان ؛ لأن
لشيطان يريد الإنسان عاصياً بشكل مطلق ، وبأى حال من الأحوال

(١) عن سره من أبي فكه سمعت رسول الله ﷺ قال إن الشيطان معد لاس آدم بأخرفه ،
معد به بطريق لإسلام فقال إنسلم وتدر ديتك ودين آئت ، قال معصاه وأسلم ،
وإن معد به بطريق الهجرة فقد أنها حر وتدر رصك وسماك ، وإن مثل المهاجر
تدبرس في بطول معصاه ومأخر ، ثم معد به بطريق الجهاد فقد أقتابل تنصص فصح
المائة وينقسم ابدال ، قال معصاه وخاهد أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٨٣)
والسباني في مسنده (٦/ ٢١)

إذن فقصية التدريب على مهمة الإنسان في الحياة يجب أن تتناول هذه المسألة فعندما احتار لله آدم لمهمة الخلافة في الأرض، فعلى الإنسان أن يفهم الرسالة السماوية بالشكل الآتي كأن الله سبحانه يريد أن يقول لآدم

يا آدم بنى جعلت في الأرض خليفة والخلافة تتطلب أمراً هذا الأمر يتنحصر في أنه يجب أن تتبّه جيداً إلى أن بك عدواً. هذا العدو إما أنت نفسك، وإما الشيطان، وأنا سأجعلك تعيش هذه التجربة بنفسها في هذه البقعة المسماة بالجنة

ولا بد لنا أن نتروى ونحس بفهم معنى كلمة «الجنة» التي تدرّب فيها آدم على مهمة الخلافة في لأرض

إن احدى يريد أن يدرّب إنساناً على مهمة ما فإنه يحدد مكان التدريب المناسب لهذه المهمة

مثال ذلك

أنت إذ أردنا أن ندرّب فريقاً للكرة أو للساحة فماذا نصنع معه؟
إننا نأخذه إلى مكان يستطيع فيه أن يتفرّع لهذا التدريب، ونهتّى له في هذا المكان كل أسباب الحياة من مأكّل ومشرب وملعب ومبيت، ونحاول أن نجعل حياة الإنسان كمدة من كل الأوجه، ولا نكلّفه السعي وراء أسباب الحياة ثم ندرّبه على المهمة التي نريدها له

وهكذا فعل الله مع آدم

أخذ الله آدم وزوجه إلى الجنة

وسم تكن هذه «جنة» التي أخذ الله إليها آدم وزوجه هي «جنة الآخرة»
التي بها أشواب والعقاب، بل كانت «مكاناً» يستر آدم وزوجه ليتعلما فيها
ويتلقيا التدريب على أخلاقه في الأرض.

وقد يسأل سائل: إذن ما هي الجنة التي ذهب إليها آدم في بدء الخلق؟

إن هذا يعني أن نشرح معنى كلمة «الجنة»

إن الله أطلق كلمة «الجنة» على المسقعة التي يوجد فيها من الررع

ما يستر الإنسان

و«الجنة» معناها "ستر"، فإذا دخل فيها إنسان سترته بأعضائها
وأشجارها، أو سترت الإنسان عن الوحود؛ لأن فيها كل ما يغني
لإنسان

وحتى يؤكد هذا المعنى فعلياً أن نظر إلى الآيات الكريمة التي تقول:

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأحدهما جنتين من أعنابٍ
وحففاهما بخُلٍ وجعلنا بينهما زرعاً (٣٢) كُلَّا الْحَتَبَيْنِ آتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ
تَظْلَمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَخَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهراً (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ

وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَهْرًا (٣٤) ودخل حنّته وهو ظالمٌ
 لنفسه قال ما أظنُ أنْ ببيد هذه أبداً (٣٥) وما أظنُ الساعةَ قدِئمةٌ ولن
 رُدّتْ إلى ربِّي لأحدنَّ خيراً منها مُنْقَلَبًا (٣٦) قال له صاحبه وهو
 يُحاوِرُهُ أَكْهَرْتَ بالذي خلقتك من تُرابٍ ثُمَّ من نُظْمَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رجلاً
 (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) ولو لَّا بِذِ دَخَلْتَ
 حَنَّتْكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَالاً وَلَدًا
 (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ حَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا (٤٠) مِّنَ
 السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا رِّيقًا (٤١) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا (٤٢) فَلَنْ تَسْتَطِيعَ
 لَهُ طَلَبًا (٤٣) ﴿

[سورة الكهف]

هنا يصرب الله المثل برجلين

أحدهما: له حديقتان من أعاب ونخيل وبسهما نهر، وأفسدهما
 بملك، فطر أنه ليس خلفه في الأرض، إنما هو صديق ومالك لحديقتين
 وكهر بالله، وقال إنه من أصحاب النعيم، سواء في الدنيا أو الآخرة

(١) مُنْقَلَبًا مرجعاً

(٢) حِسَابٌ عَدَانًا من لِسَاءٍ، وهو مطر عظيم يهلع لأشجار

(٣) الصَّعِيدُ الرِّيقُ التُّرابُ الأملس الذي لا تثب فيه قدم، كالأرض التي لا تسب شيئاً

(٤) عَوْرَةً عَثْرَ أَيْ الْأَرْضِ

لكي الرجل الآخر كان مؤمناً بالله، يعرف أنه خليفة في الأرض، ويعي وجود الله وقدرته ومشيبته سبحانه يعطى من يشاء، ويمسح من يشاء، ويرسل الخير اختباراً.. ويرسل المنع اختباراً

ونزلت الصاعقة على من لم يع مقدرة الله ويؤمن به

استخدم الله هنا كلمة "الحنة" في وصف مكان بملكه فرد، ولهذا فإن علينا أن نفهم أن «الحنة» التي أوحدها الله آدم بها هو وزوجه هي مكان للتدريب على مهمة الخلافة

ويمكننا أن نعرف أن كلمة الحنة كما تطلق على دار لشووب في الآخرة فهي تطلق أيضاً على المكان الذي فيه كل حاجات الحياة

وإذا سألت أية مهمة أراد الله أن يدرب آدم وروحه عليها؟

في الإجابة هي أن الله أراد أن يدرب آدم وروحه على مناط فكره الاحتيار في الإنسان..

لأن فكرة الاختيار هي سر العصيان أو لطاعة

ولأنه لو لم يكن في الإنسان اختيار بين «أن يفعل» أو «لا يفعل» لما كان هناك داع لمهمة تكليف الإنسان بالخلافة في الأرض، وبأن «يفعل» ما يأمره الله، وأن «لا يفعل» ما ينهى عنه الله.

لأن الله أراد أن يجعل الإنسان صالحاً لأن «يفعل»، وصالحاً

«ألا يفعل»

هذا يمثلك الإنسان إرادة «الفعل» و«عدم الفعل»

هذا لا يكون الإنسان مرعماً لأن الإرغام لا تكليف فيه

ونكس «التكليف» منشؤه وجوب الاختيار

للإنسان القدرة أن يفعل

وللإنسان القدرة ألا يفعل

لذلك و«لمكره» يسقط عنه التكليف مثل «لمحنون» أو «قص

العصر» أو «غير النافع» هذا يسقط التكليف ولا تكليف إلا بالسلوع

أو بصح العقل أو دهاب الجيوب مثلاً

لأن قنود الاختيار هذا غير موحود.

كل هذا يدل على أن مصطلح التكليف بـ«افعل» أو «لا تفعل» لا بد أن

يكون في أمور اختيارية، لأن الأمور غير الاختيارية لا تكليف فيها، ذلك

لأن الإنسان لا دخل له فيها

ولذلك إذا نظر الإنسان إلى أن يكون فسيحداً أن أي فساد في الكون ليس

في الأمور التي سخرها الله للإنسان والتي نشأت بغير اعتبار ولكن

الفساد يشأ في الكون من محاولة التوجيه في الأمر الاختياري

والأمر الاختياري للإنسان فقط

لذلك فكر فساد في الكون لا ينشأ من المخلوقات الأخرى

لا ينشأ الفساد من الجماد

ولا ينشأ الفساد من الحيوان

ولكن الفساد ينشأ من الإنسان

وإذا سألتنا

من أي مطقة في الإنسان ينشأ الفساد ؟ هل من الأمور التي هو
مفهور عليها ؟ أم من الأمور التي هو مختار فيها ؟

والإجابة هي أن الفساد ينشأ من الأمور التي يختار فيها الإنسان

أما الأمور التي لا اختيار فيها فلا فساد بسببها في الكون

بما إذا نظرنا إلى الكون نلاحظنا أن المتاعب تنشأ في القوت مثلاً، لأن
الإنسان له عمل في إنتاج القوت قد يزرع ما يكفيه وقد لا يزرع وقد
يجد المتاعب تنشأ في الماء مثلاً لأن الإنسان له عمل في المياه كأسلوب
تنقيتها وتوزيعها .

لكن هل يوجد فساد في الهواء مثلاً ؟

هل يشتكى أحد الناس من عدم وجود الهواء ؟

لا

لماذا ؟

لأنه لا دخل للإنسان في شيء من لهواء.

ردد الفساد في، يكون ينشأ من منطقة الاختيار في الإنسان،
والفساد لا يحدث إلا إذا حالف من يحثار توحيه، الذي أوجب عليه
الاختيار

من فليس الرحمن	من فليس الرحمن	من فليس الرحمن
من فليس الرحمن	من فليس الرحمن	من فليس الرحمن
من فليس الرحمن	من فليس الرحمن	من فليس الرحمن
من فليس الرحمن	من فليس الرحمن	من فليس الرحمن
من فليس الرحمن	من فليس الرحمن	من فليس الرحمن

حدود البشر هي كرامة الإنسان





;

الله يريد من الإنسان ألا يقرب من مواقع الخطأ، وفي هذا حماية
للإنسان من ارتكاب الخطأ.

حجة التدريس تختلف عن حجة لأحررة لأحررة الأحررة هي التي فيها
الحراء

وحجة الحراء لا يدخلها الإنسان. لا بعد حساب بقرتب عليه
لثواب

ولأن الحجة التي هي دار الثواب لا تكيف فيها

ولأن الحجة التي هي دار الثواب لا يمكن أن ينزع فيها الشيطان

وقد

إن الحجة التي تم فيها تدريس آدم وروحه على مهمة الخلافة في الأرض
هي مكانه استكفاء بكل مقومات الحياة

وقد

إن مهمة الإنسان في الأرض كانت تفتضي الاختيار

والاختيار يقتضي التوجيه

والتوجيه يحصر في «افعل» و«لا تفعل»

وكل مباح الرسل الذين أرسلهم الله إلى خلق لا تحرج عن

التكليف الواضح - «افعل» و«لا تفعل».

لذلك تم تدريب آدم على مهمة «افعل»، وعلى مهمة «لا تفعل»

تم تدريب آدم على مهمة «افعل» عندما صدر الأمر الإلهي بأن يأكل من الشجر ما شاء هو وزوجه

وتم تدريب آدم على مهمة «لا تفعل» عندما صدر الأمر الإلهي بالأقربا هذه الشجرة. ^(١)

والمرر إلى حرية الفعل هو لأكل من كل ما في الجنة

والمرر إلى حدود هذه الحرية و«لا تفعل» هي ﴿ولا تقربا هذه

الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ [٣٥] [٣٥]

ومحال الاختيار مفتوح بأن يأكل الإنسان ما أذن الله أن يأكله، وأن يمتنع عن الأكل من تلك الشجرة

ولسقط إلى دقة الأداء التكيفي عندما يقول الحق ﴿لا تقربا﴾ موحهاً الحديث لآدم ولزوجه

أد دقة الأداء التكيفي نصهر بوصف عن ما يقول الحق تبارك وتعالى

﴿لا تقربا﴾ إنه لم يقل . «لا تأكل» .

(١) وهذا مدققة الحق سبحانه في القرآن فقال ﴿ولنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا

منها رعدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ (٢٥) * [البقرة ٣٥]

فكأن أمور المعاصي كلها لا يطلب الله منا ألا نفعلها فحسب ، ولكن
لله يريد أن يجسأ ، يخج شهوات على فعل المعصية ؛ لذلك يعدد حتى
عن محال الاقتراب من المعصية .

فمثلا

قد يوحد مكان فيه حمر ، والله لا ينهى الإنسان فقط عن شرب
الخمر ، وإلا يكون معنى ذلك أن يوحد الإنسان في خمرة ويكتفى
الإنسان بآلا يشرب

لكن أليس وجود الإنسان في مكان احتساء الخمر هو إثارة للإلحاح
على نفس الإنسان ، فتلبس هذه النفس وتفعل لمعصية ؟

إن الله يريد أن يمنع الإنسان من هذا فتقول الأوامر السماوية
لا تقرب أماكن احتساء الخمر .

هكذا نفهم الأمر السماوي «لا تقرب كذا» وليس معنى ذلك
ألا يكتفى الإنسان بعدم شرب الخمر ، ولكن أيضاً ألا يورث في محل قد
يعرّيه بأن يفعل ما يعصى به الله ^(١) .

إذن فإحدى خلق النفس الإنسانية حماها من محاولات المعصية
بالنسيان للإنسان

(١) عن أنس بن مالك قال : «أمر رسول الله ﷺ في الخمر عشرة : عاصرها ومعتصمها ،
وشربها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، ومفاتيحها ، ونفعها وأكل ثمنها والبشرى لها
وشتمها» أخرجه من صحيحه في مسند (٣٣٨١) والترمذي (١٢٩٥) وفي حديث
عريب

ولذلك نجد أسلوب القرآن يقول مرة

﴿ وَلَا تُشَارِكُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ

فَلَا تَقْرُبُوهَا ﴾ [من الآية ١٨٧ من سورة البقرة]

ومرة أخرى يقول القرآن

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ [من الآية ٢٢٩ من سورة البقرة]

والأسلوب يدل على أن قائل الأسلوبين حكيم، يصنع اللفظ حيث يعبر تماماً عن المعنى

فإذا كان الأمر متعلقاً بمسألة «افعل كذا» لا تتعد هذا الفعل فهذه هي حدود أوامر واضحة فيأتي الأمر السموي

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ [البقرة ٢٢٩]

أما إن كان الأمر متعلقاً بمسألة «يُفعل» فهو من الله، فإن الأمر السموي يقول ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ﴾ فالأمر ينهي لا يقف عند «لا تفعل» كذا ولكن الأمر بالنهي يتسع ليحمي الإنسان بعدم الاقتراب من محال هذا الفعل الذي يجب على الإنسان أن يتعد عنه

ويتضح الأمر بصورة حاسمة في هذا المثال يقول الله سبحانه

(١) المذشرة جمع امرأة والعكوف في المساجد ملازمة للعبادة وعدم خروج منها إلا لحاجة الإنسان وقد كان أبو جندب منهم إذا اعتكف وخرج منه بقضاء الحاجة بأمره فهو عن هذا

للمعتكفين بالمساجد في رمضان ما يلي:

﴿ وَلَا تَبَاسِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا

تَقْرُبُوهَا ﴾

[من الآية ١٨٧ من سورة البقرة]

فمن الخدائر أن تأتي امرأة للعاكف بالمسجد فتتحدث معه ويتحدث معها ويهمس صرت لإعراء، فيقولون لرحمن ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ

فَلَا تَقْرُبُوهَا ﴾ ..

لست والأمر هـ أن نمنع للملاست التي تعرى بهذه لعمية

وفهم لأوامر و هو هي بهذا لأسلوب يحل لنا إشكالا وقع فيه كثير من الذين يعتصرون أنفسهم مفكرين يستفسرون أو مر الله بأسلوب في الفكر يقود إلى لطعيا، ويحاولون أن يحدوا لأنفسهم أنبياء محرمة، وذلك حتى لا يقال إنهم عاصرون

يقول لواحد منهم إن الحريم تات فيها آيات للتحريم وقصارى ما حاء فيها هو قور الله ﴿ إِنَّمَا الْحِمْرُ وَالْمَيْسَرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَرْلَامُ رَحْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ [المدة ٩٠]

ويظهر هذا العصر من الدس أن كلمة « لاحتتاب » أقل من كلمة التحريم

و نحن نقول لهذا النوع من البشر :

لقد ظلمت نفسك ، لأنك تريد بالتفكير التحايل على الله

إن الإنسان إذا قيل له « لا تكلم فلاناً » فيكفى في إطاعة ذلك أن

يوجد الإنسان مع فلان ، ولا يتكلم معه

و لكن إذا قيل للإنسان « احتسب فلاناً » فمعنى ذلك ألا يتكلم

الإنسان مع فلان هذا ، وألا يراه ، وأن يتعد عنه

لذلك فعندما يقول الله في أمر الخمر ﴿ فاحتسبه ﴾ فهذا أشد من

التحريم

أي ألا يوجد الإنسان معها في مكان

فأيهما الأقوى ؟

أن يوجد الإنسان في منطقة التحريم للخمر

أم أن يوجد الإنسان في منطقة احتساب الخمر ؟

فإذا كان الله قد أمر الإنسان بتحريم الخمر فقط ، فإن معنى ذلك

ألا يوجد أي مانع من أن يوجد الإنسان في محال الخمر وألا يشربها ،

لكن وجود الخمر في دائرة الاحتساب معناه أن كل الملامات التي تتعلق

بها حرام

وهكذا يمكن أن يرى قول الله لأدم

أنا مسكيت في حنة لتدريب على حياة وأقول لك هذه هي
أوامري وهذه هي النواهي التي يجب أن تتعد عنها فكل ما في
الحنة خلال لك طعامه إلا هذه الشجرة

وهنا يعرف أن عماد التكليف هو «الأمر والهي» ويحذر الله آدم من
لشيطان

إن الشيطان أيها، لإسنان عدو لك لن يتركك في حالك، وهذه
لعدو سشير أممك المفريات حتى تعصى الله

وقد يقول قائل

- ولماذا أرسل الله الشيطان ليعكر صفو مراحتنا؟

وهنا يقول لهذا الناقل

لا إن شيطان لم يوحد ليعكر مزاج الإنسان، ولكن لأنه إذا لم
يوحد في الكون ما يشير رعة الإنسان في العصية فرمى صارت الطاعة أمراً
عاداً

لكن عظمة الطاعة هي أن يوحد لإغراء بالعصية، ويقول الإنسان
«لا لن أعصى الله»

يدن فيه يمكننا الآن أن نعرف أن فكرة وجود الشيطان هي ستفاء
لحرارة التكليف، ومقابلة العبودية لله بالطاعة لأوامر الله

وسمّنْ من أن لشيطان لم يوجد، إن ذلك معناه أن الطاعة تدخل
الرتابة والملل
و لنضرب مثلاً على ذلك .

إن أحداً ما لا يفكر في أن يأكل لحم الخنزير ، ومن لم يتعود أن يشرب
أحمر فهو لا يفكر فيها، هنا قد يكون لامتناع رتابة

والله يريد أن يكون الامتناع عمودية له . لذلك فلا بد من وجود من
يحرك رغبة الإنسان في المعصية عن طريق الإغراء ، ولا بد أيضاً من
اتزام الإنسان بما أمر الله، هذا هو معنى العمودية . لذلك كان لأمر
السماوى لأدم

- اذكر جيداً أن هناك عداوة مسقة بينك وبين شيطان . إنه عدو
لك ولروحك فلا داعي لأن يخرحك لإغراء من حنة الطاعة له
وهذا هو جوهر التكليف للإنسان إلى أن تقوم الساعة، أمر وهدى
وتحذير من شيطان فيه عداوة مسقة بالنسبة للإنسان

فما هي العداوة المسقة للإنسان؟

إن كلمات الله الباقية بخلافة تقول

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا

سُوِّتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ^(١٢) (١٢) فَسَجَدَ
الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَهْمَعُونَ ^(١٣) (١٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ
(١٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ
كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ^(١٥) (١٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّا خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ ^(١٦) (١٦) وَخَلَقْتَهُ مِنْ
طِينٍ ^(١٧) (١٧) ﴿سورة ص﴾

والأمر السماوي للملائكة أن يسجدوا لآدم بعد أن ينفخ الله فيه
الروح ، و للملائكة لم تسجد لآدم نفسه ، ولكن طاعة لصاحب الأمر
بالسجود لآدم

والملائكة أيضاً أنواع

هناك ملائكة اسمهم «المهيمون» لا يعرفون شيئاً عن الخلق كله ، وهم
«عالمون» لا يفكرون إلا في الخلق سبحانه ، ولا وعى لهم بالذي أو آدم ،
ويسبحون الله في الليل والنهار .

ولكن هناك ملائكة من نوع آخر اسمهم "المندبرات أمراً" هؤلاء
الذين خلقهم الله يديروا للإسباب أمور وجوده ، وإليهم صدر أمر الله

(١) سُوِّتَهُ أُنْمِتَ خَلْقَهُ وَصَوَّرَتْ هَيْئَتَهُ بِالصُّورَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ

(٢) سَجُودٌ عَلَيْهِ وَكَرِيمٌ

(٣) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالُوا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخْلَفَ الْمَلَائِكَةَ مِنْ نَارٍ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ
مِنْ نَارٍ وَخَلَقَ دُمُورَ وَصَفَّ نَكَمَ أَخْرَجَهُ مَسْمُومٌ فِي صَحِيحِهِ (٢٩٩٦) وَأَحْمَدُ فِي
مُسْنَدِهِ (١٥٣/٦ ، ١٦٨)

بالسجود لأدم، وذلك علامة الخصوع لهذه المهمة خدمة الإنسان في أمر وجوده

وكان إبليس حاصراً في لحظة لأمر لهم بالسجود

وقد يقول قائل

- إن إبليس لم يقبل السجود لغير الله

هنا نقول

- وهل أمر أحد إبليس بأن يسجد لغير الله؟ إن الملائكة سجدوا تنبيهاً لأمر الله، وإذا كان إبليس لم يسجد فلائه علل أمر عدم السجود بقوله

﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقَ طِينًا﴾ [٦٦] [الإسراء ٦١]

إن إبليس يرضى أن يصير لطيف أقل من عنصر النار فيقول ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [الأعراف ١٢] وهكذا يرى أن امتناع إبليس ليس بسبب عدم الرعدة في السجود لغير الله، وإنما بسبب لاقتناع أنه خير من دم وعظم يرى كيف عرص القرآن هذه المسألة، محمد أنه عرضها بأسلوبين

أولهما ﴿مَا مَنَعَتْ أَنْ تَسْجُدَ﴾ هذه في سورة ص في الآية رقم ٧٥ من هذه السورة

وفي آية ثانية يأتي الأسلوب الثاني في سورة الأعراف في الآية رقم ١٢ ﴿ مَا مَعَكَ إِلَّا تَسْجُدٌ ﴾

إن المعنى واحد في الآيتين ، ومن هذا نفهم أن إبليس أراد السجود ، ولكن هناك فوه معننه من رغبة سجود ، وهذه لفوه أقتعت إبليس إلا يسجد

وكان لا بد لنا أن نعرف ما المانع ؟

هل هو من نفس ، ليس أم من غير إبليس ؟

و نحن نعرف أن المانع هو عدم الاقتنع ، أى من نفس إبليس

إن التكبر عن تنفيذ منهج الله معناه الطرد من رحمة الله، وإبليس لم يكن ملكاً، وإنما كان من الجن ففسق عن أمر ربه^(١)؛ فاستحق اللعنة، والإنسان الذي نسي عن غفلة، ثم عزم على المتاب فتحت له الأبواب.

لقد أحدث قصية متاع إبليس عن اسجود مع الملائكة كثيراً من الحدل

و أراد بعض السطحين من السحئين أن تشكل هذه القصية في القرآن
ناقصاً

لماذا^٢

لأنهم يقولون أن الله عندما أمر الملائكة بالسجود لآدم ولم يسجد إبليس، فكيف يؤخده، الحق سبحانه وتعالى على أمر لم يدخل إبليس في نطاقه، لأنه ليس من الملائكة

و ندى يقرأ لقرن بهم حيد لا يمكن أن تثور في نفسه شهة تعدد بين الآيات

وعندما ستعرض الآيات الواردة في هذه المسألة، قاساً بجد بصوصاً قراسة تدل على المراد والهدف من النص، وبصوصاً أخرى قد تدل على

(١) وفي هذه يقول ربهم: "وإذا ف الملائكة سجدوا لآدم فجدوا إلا إبليس كان من الجن

ففسق عن أمر ربه" (٢٠) [الكهف]

لمراد والهدف من التزام الكائنات كلها بأوامر الله

وكثيراً ما يحطىء الناس في فهم آيات الالتزام فيقرر إلزام الناس بأشياء، وقد لا يلزم بعض الناس بأشياء

* بمعنى آخر . .

إن النص الذي ورد عن الأمر بالسجود هو نص يلزم الملائكة بالسجود
لآدم

وقلنا إن الملائكة المقصودين بأمر السجود لآدم هم «المدبرات أمراً»
والنص القرآني الصريح في قوله تعالى

﴿وإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ^(١) فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ
الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ
عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥)﴾ [سورة الكهف]

والدين يريدون أن يفكروا تتجاوز حدود التفكير، ويقولون م آدم
إبليس من الجن وليس من الملائكة، فكيف يشمل أمر السجود؟
ونقول نحن -

- م معنى أن إبليس كان من الجن؟

١) ليس اسجود لآدم، وإنما السجود هو لأمر الأمر وهو الله، والسجود لآدم لإظهار عظمة
له في خلقه وقدرته على تربيته وتصويره

إن احسن و لإس من مخلوقات الله ، والإس واحسن هما مناط التكليف في الأحساس ، وللاثنين قدرة على الاختيار وقد يصن احسن تفقوه وبالاتزام بمسح الله إلى درجة الوراية باتباعه والتقييد والأحلاق فيكون في صف الملائكة المأمورة فيدخلون في الأمر بالمطلوب ، وعندما أعرض وبأى عن الأمر فقد فسق عن أمره ، واستحق الطرد فهو بعجله كان في عداد ملائكة ، وتكبره يرجع إلى الاختيار لمغرور

أما بقية المخلوقات من الأحساس فلا اختيار لها ؛ ولذلك فلا تكليف عليها

وتدعي على ذلك آية الواضحة في مسألة الأمانة ، وكيف عرضها الله على السموات والأرض و جبال فأبى أن يحملها وحملها الإنسان .

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٥٢)

[سورة الأحراب]

ما هي الأمانة؟

الأمانة كم يعرفها هي أن يوجد حق لك عند سوك ، ولا حُجَّة لك ولا دليل عندك عليه إلا أمانته في أن يعترف بأن لك عنده هذا الحق ، أو أن ينكر أن لك عنده هذا الحق

أما إذا كان هذا الحق الذي لك عند حر موثقاً بورقة مكتوبة كإيصال

أمانه أو شهوده فليس ذلك أمانة إله دين مكتوب

لأمانة إذن أن يستودعك إنسان شيئاً، أو أن تسودع أنت شيئاً عند إنسان آخر ولا شاهد على ذلك إلا الدمة والضمير، فمن يعترف بالأمانة فهذا يفضي الدمة والضمير، ومن لا يعترف فذلك أيضاً يفسد الدمة والضمير (١)

إذن فالأمانة فيها «حرية» للإنسان أن يعترف بها أو يكرها، وهكذا يكون الأمانة وليده الاختيار بالإقرار ولا اعتراف

بدنك فعدم عرض الله الأمانة على السموات والأرض وأين أن يحملها فليس «الإباء» ها دليل معصية، لأن المسألة ليست تكليفاً إلهياً عرض واضح

ما أن تقل السموات والأرض هذه المهمة، وما أن ترفض، لأن العرض معناه أن المعرض عليه حرٌّ في أن يقبل، أو يرفض، ولا يقع عليه إثم إن قبل العرض، ولا يقع عليه إثم إن رفض العرض

بدل ذلك فرفض الأرض والسماء حمل الأمانة بيس دساً، وليس هي ذلك الرفض أية معصية

واليكُم مثلاً من الحياة تتمثل فيه كل مشكل حياة فيما يتعلق

(١) إن ذلك يعود سبحانه . . . إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها . . . (النساء) علو كانت الأمانة هي نفسها الدين المكتوب والحق تحت التدكير من الله بها، فهناك صدق واجب الأدب

بالأمانيات

يأتى إنسان لإنسان آخر ويقول له

أنا عدى مائة جنيه، وأحاف أن تمتد يدي إليها فأصرفها فى غير
ضرورة، وأنا أريدها لأمر قد يكون مهماً فسله عليك خذ هذه الدنة
جنيه أمانة عندك

الإنسان الآخر المعروضة عليه هذه الأمانة قد يفكر وقد يرفض، وحين
يأخذ المائة جنيه فإنه يقدر نفسه لحظة لأحد أنه قادر على أن يودى هذه
الأمانة ويرجعها إلى صاحبها عندما يطلبها، ولا أحد يتهم هذا الإنسان
من البداية أنه سوف يأخذ المائة جنيه ويشترى ألا يردها

لا، إن بية الرد موحودة، لأن الإنسان يقدر أمر نفسه لحظة الموقفه
أن يتحمل هذه الأمانة، وفى أعماقه قرر بأن يأخذ المائة جنيه، وأن
يحفظها. بى أن تأتى اللحظة التى يقول فيها صاحب المائة جنيه «أريد
بقودى» فيردها إليه

ولكن الموقف قد يختلف لحظة رد الأمانة هل تظل دمة الإنسان هى
نفسها دمة الإنسان لحظة سلام لأمانة أم تتغير هذه الدمة؟
هذا هو الخوف.

لإنسان لحظة تحمل الأمانة يكون عزمًا على رد الأمانة
وهو يصمم الإنسان ظروفه لحظة أداء الأمانة؟

وهل يصمم الإنسان ألا تحيى ظروف تجعبه يتصرف فى النقود، وبعد ذلك يأتى صاحبها ليطلها فيكر من أودعتْ عبده الأمانة؟
إذن

فهناك فرق بين الحكم على النفس خطة التحمل للأمانة والحكم على النفس لخطة الأداء

إن السماء والأرض لم تأمن أىُّ منهما نفسها ساعة الأداء، فقلت كل منهما «قد يحدث لى ما يجعلى أحالف أو أعصى ما اتفقت عليه، وأنا من أول الأمر لا أريد أن يكون لى حق الاختيار فلا بد أن أرفض هذه الأمانة أى أن أرفض الاختيار»

أما لإنسان فقد قال «أنا عاقل أرى الأمور بمقياس التعقل، وقادر على تحمل هذه الأمانة، وقادر على قبول مسئولية الاختيار»

الإنسان إذن قدّر أمره لخطة تحمل الأمانة، وبكس لم يقدر أمره خطة أداء الأمانة، لم يكن يقدر أنه سوف يتعرض لمعربات كثيرة جداً، قد تصطره إلى أن يحالف أو يعصى.

وبدئ عتب الله على قبول الإنسان للأمانة فقال ﴿وحملها

الإنسان إنه كان ظلوما جهولا (١٢)﴾ [الأحراب]

أى أن الإنسان كان يجهل قدراته لخطة الأداء، وطبوم لأنه حمل عبء مسألة كبيرة

إذن فالسماء والأرض والحيوان قبلوا موقف التسخير والابتعاد عن مسؤولية الاختيار وأمانة هذا الاختيار، وبذلك يركن كل منهم إلى موقف ابتغاء السلامة بالابتعاد عن أمانة الاختيار

لكن لإسراف قُلْ لدخول إلى المحربة، وحمل مسؤولية الاختيار ويحذرون الله سبحانه وتعالى من العرور بالفسح لحطة تحمل أمانة مسؤولية الاختيار، لأن هناك اختصاراً يومياً هو لحظة أداء هذه الأمانة، إن لحظة أداء الأمانة هي التي تدير حركة الحياة.

ولها فالإنسان مُطالب بتدبير الأمر لحظة أداء الأمانة، وهل يقوى على نفسه ويدير أداء الأمانة على أكمل وجه أم لا؟
وتدبير الأمانة لا بد له من مهج هو المهج الذي تعلّمه آدم في حبة الإعداد لمسئوليته الحقة

ولكن هناك من الأمور ما يتشابه فيها الأمر على الإنسان
ذلك تجد الحلال بيتاً، والحرام بيتاً، وسهما أمور متشابهات^(١)
وأمور المتشابهات التي تحمل شبهة النص فلا داعي لها
واسترسالاً في قصبة الدين وتحمل الأمانة يأتي الحق سبحانه وتعالى

(١) عن اسمعيل بن بشير بن رسول الله ﷺ قال: «إن الخيل بين، والحرام بين، وبينهما أمور مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى شبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كانه عصى يرمى حول الحمى يترسك أن يرمع فيه، لا وول لكن ملك حمى، ألا وول حمى الله محارمه» أخرجه مسلم في صحيحه (١٥٩٩)

ويحمي الإنسان من نفسه خطة أداء الدين :

﴿ وَلَا تَسْأَمُوا ^(١) أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَحَلِّهِ دَلَكُمْ أَقْسَطُ

عند الله ﴾ [من الآية ٢٨٢ من سورة انقرة]

إن الله يقدر موقف المستدين احتياج وموقف من يملك الفائض الذي يقرض المحتج، وفي ذلك حمية، لا لمن يعطى القرض ولكن لمن يأخذ القرض، لأن من يعرف أن عليه ديناً مكتوباً، فإنه يعرف أنه لا مفر من أداء هذا الدين، وعليه أن يعمل بجد واهتمام ليسدد الدين، وحتى لا يفكر في أن يماطل أو يأخذ مهلة

ماذا؟

لأن هذه المسألة لو بجم فيها لمستدين، فإنه قد يفسد حركة تعامل في الوجود

والله يريد لحركة التعامل في الوجود أن تستمر

إن الإنسان إذا لم يكتب الدين الذي عليه ولم يسدده فمادام يكون موقف الدين؟

إنه لن يعطى أحداً بعد ذلك وفي هذا تعطيل حركة الحياة، لأن لافئاض يحدث، ويقع كل محتاج في براثن العطل، ولا يعمل إلا من يجد ملاً

(١) لا تسأموا، لا تملوا

والله يريد لكل إنسان أن يعمل ، من عنده مال ومن ليس عنده مال ،
ذلك لأن حركة الوجود ليست نزعاً من شخص لآخر

ولكن حركة الوجود و الحياة محكومة بقانون النفع لكل شخص

مثال ذلك قد يرى في الصباح ، نساء يحملن برميلاً ينزح به
المحاري لو أن هذه العملية متروكة للتطوع لما قام بها أحد ، ولكن لأنها
مرتطة بحاجة الإنسان للطعام وحاجة أسرة الإنسان إلى المال ، فإن
الإنسان يقوم بها لتحقيق أمور حياته

إن الله يربط حركة الحياة بضروريات الحياة

و حين يربط الله ضروريات الحياة بحركة الحياة فإن كل إنسان يدير
حركة حياته ، ويعمل العمل الذي يكفل له أن يرعى أموره وأمور
أسرته . مهما صغر شأن هذا العمل أو كبر

ولو لم تكن حركة الحياة كلها مرتبطة بضروريات الحياة ، لانسدت لكل
مرد . . . لفسدت حركة الحياة جميعها

ولذلك كان من حكمة حركة الحياة أن يحد إنساناً وألا يجد إنساناً
آخر

لأنه لو وحد كل إنسان كل حاجاته لفسدت حركة الحياة ولتعطلت

وهنا حكمة تقسيم العمل

وبذلك يحد ضروريات الحياة هي التي تعطى الإنسان القدرة على

الحركة في هذا العالم .

وإن لم ينشأ الاحتياج فلن تنشأ الحركة

ومن حكمة الله سبحانه وتعالى أن يخلق طبقة للأعمال التي براها رقية ، وطبقة أخرى للأعمال التي براها غير راقية

ومن حكمه لله سبحانه وتعالى أن يخلق الرمن دولاً ، وحركة متبادلة .

فالذي يحسن استقبال قضاء الله حين كانت له حاجة ولا يتكبر على أي مس من أسباب الحياة فإن الله يجازيه على ذلك وكذا الله يقول

- لقد أدبت أيها الإنسان حركتك في الحياة ورصيت قد رى وفمت لست ضرورات حياتك بأحق الأعمال .

لذلك ليس لك عدى من حراء سوى أن أحعلك سيداً بحية أيام حياتك

ولنظر إلى أساس جميعاً محد أن لكل ناح في الحياة بحق مقدمة من كفاح ومقدمة من احتياج ، وكان الكفاح لإشباع الاحتياج أما الدين يريدون أن بنعموا بحركة الآخرين فهؤلاء هم صعايك الحياة

وأي تقس يساعد على هذا فإنه يهبط بمستوى البشر إلى اخضيض

من هيص الرحمن	من هيص الرحمن	من هيص الرحمن
من هيص الرحمن	من هيص الرحمن	من هيص الرحمن
من هيص الرحمن	من هيص الرحمن	من هيص الرحمن
من هيص الرحمن	من هيص الرحمن	من هيص الرحمن
من هيص الرحمن	من هيص الرحمن	من هيص الرحمن
من هيص الرحمن	من هيص الرحمن	من هيص الرحمن

التوبة طريق الففران



إن أصحاب الاختيار هم أهل الترقى، وآدم باختياره كان أرقى من الملائكة؛ فالملائكة مأمورة، هذه وظيفتها، أما آدم فهو مختار، وهذه وظيفته، ووظيفة الاختيار في مشقات، فمن قطع المشقات ارتقى؛ لأنه يعيش بين البدائل، فمن اختار إرادة الله أصبح مراداً.

وقد حدد الله سبحانه هوية إبليس بأنه من الجن، وليس من الملائكة

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠)﴾ [الكهف ٥٠]

وكذا الآن يريد أن يعرف، لماذا وقف إبليس بجانب الملائكة خطوة لأمر بالسجود لحظة امتاعه عن السجود؟

يقول

بالملائكة عندما تلقوا أمر السجود سجدوا لأنهم لا يعصون لله أمر ولا يفعلون ما يؤمرون، وليس لهم من الاختيار شيء

وكبر دم إبليس أي الإنسان والجن هم جنسان البدان وقع عندهما مسئولية الاختيار بمعنى أن الله خلق لهما قوة اختيار يطيعان بها، وقد يعصيان بها

وقوة لاختيار تسبح للكائن أن يحمل نفسه على طاعة الله،

ولا يخالف أمر ربه .

وستطع أن تقار . مكانة ومنزلة من له قدرة اختبار ، ومن ليس له
قدرة اختيار

إذا قارنا مكانة آدم عندما يطيع الله سبحانه الله وبين الملائكة لدير ليس
لهم اختيار ، وهم مُحْتَرُونَ على الطاعة فإن منزلة آدم أرقى

وكذلك كنت منزلة إبليس كانت منزلة راقية ، لأن الله خلق فيه
عصم ، لاختيار وبه انقدرة على العصيان ، لكنه قبل أمر لسجود كان يقف
موقف الطاعة بالاختيار ، لذلك كان في مقدمة الملائكة وكان في ذلك
كم يقولون «طوبى للملائكة» فهو كالطائر المحور شكله وقدرته بين
سائر لطيور ، لأنه ارتفع إلى مرتبة الطائع الدائم ، وذلك باختباره

وبما أن يعرف أن إبليس أحد مكنته وكان يحصر مع الملائكة ، لأنه
سما بالاختيار إلى مرتبة الطاعة

وحين يوجه الله لأمر إلى الملائكة وكان بينهم إبليس فإذا كان
أقل مكانة أو محتتماً ألا يسحب الأمر إليه أيضاً ؟ .
إن الأمر بالسجود ينسحب إليه . .

هَبْ أَنْ رَئِيساً دَحَلَ عَلَى وَكَلَاءِ الْمُرَارَاتِ وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَرِيرٌ أَوْ مَدِيرٌ
وَوُفَّ وَكَلَاءِ الْمُرَارَاتِ أَلَيْسَ الْوَقُوفُ أَيْضاً بِنَاطِقٍ عَلَى الْمَدِيرِ أَوْ
لِوَرِيرٍ ؟

إن الأمر حين صدر من الله لأعلى فإنه يصبُّ على جميع
الخصور كما فهم إبليس مدى اختار مكاته مع الملائكة بالطاعة، رغم أن
له قوة اختيار للطاعة أو العصيان.

وإما أن تكون مرتبة أرفع من الملائكة، وإما أن تكون مرتبة أقل من
الملائكة، وذلك معتمد على الطاعة أو العصيان

فإن اعتبر إبليس أعلى من الملائكة، فقد كان يجب أن يسارع تنبيه
الأمر بالسجود

وإن اعتبر إبليس أقل من الملائكة، فإنه سيبحث أمر السجود
بالعصيان

وبدس أحدثه اعزة بالإثم، قل تعالى ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ
أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ (١٢)

[لأعراف]

إن الله يريد أن يدكر آدم معوقات ليقين، ومعوقات سلوك الإيمان
من النفس ومن الشيطان

وعداوة إبليس لآدم كما نعرف هي عداوة مسبقة

إذن فقد وضع الله إبليس في حجة التدريب على مهمة الخلافة في
لكون.

وألقى الله إلى آدم أمراً

وألقى الله إلى آدم نهياً.

وحذره من عدوة إبليس

حين ذلك لن يجد آدم عدواً له أخطأ.

وبكر الله قال في كتابه ما يسهنا إلى عهدة آدم

﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً ﴾ (٢٠)

[سورة طه]

يقول هو

إن كلمة السيئ كان يجب ألا يحاسب عليها دم فلماذا إدن تم

حسابه على النسيان؟

لأن الله لم يكنه إلا شيء واحد هو الأمر فيما فيه نعمة، وبهى الله

آدم عن شيء واحد، وهو الاقتراب من الشجرة

إدن والبهى شمس مرآة حذاء، ويست أموراً متعددة حيث يمكن أن

يقول: إن آدم تاه فيها كلها؛ فنسى بعض الأمر.

وإذا كان قد نسي لأمر واحد فقد نسي عموم التكليف

ولو كانت هناك أمور كثيرة يتصممها لتكليف ونسى بعضها وذكر

بعضها لذكر من المعقول أن يقول إنه لم يغص في عموم التكليف

ولكن انقل له ذلك الأمر هو الله وما خصب لما شر ، وليس هناك
واسطة بينه وبين الله . فليس هناك مرر في أن يسي هذا الأمر
إذن فالسيين بالنسبة لطروق الأمر هو سيان ما كن يصح أن يكون
من آدم

وهو أيضاً يسعى أن نعطن إلى شيء من قول هؤلاء الذين يقولون
«إن آدم نبي ، فكيف يعصى الله والأساء معصومون» ؟

إن هؤلاء يدحدون بأنفسهم إلى المتاهات ، وإلى هؤلاء نقول :
اقرأوا القرآن جيداً ، وافهموا عن الله فهماً جيداً .

إن آدم أبو البشر

وإشتر سيقسمون إلى قسمين

إلى رسل يبلغون رسالات الله

وإلى مرسل إليهم ليستمعوا إلى رسالات الله

وإرسل يحب أن يكونوا معصومين لأنهم قدوة فإذا أمروا أتباعهم
شيء ثم حالقوه هم ، فإن الاتباع يقولون «أليس من الأحدي أن تأمروا
أنفسكم بهذا الأمر ، وأن تكونوا أسوة لما تطبقون الأمر على أنفسكم»

وإلا فإن لإنسان يعتقد مثله الأعلى لو خالف لرسل لحدث
يحب أن تكون في الرسول عصمة

لكن لقسم الثاني من ذرية آدم وهم المرسل إليهم عُرضة أن يطيعوا
وعرضة لأن يعصوا منهم طائغ ومنهم العاصي
وادم أبو الصفيين من لبشر

إذن فحب أن يكون في تحرته ما يمثل الصفيين صف العصمة
بأسسه لدرته من لرسول، وصف تتأتى منه لمعصية كبقية المرسل إليهم
ومادامت المسألة تجربة يتعلم منها آدم فقد قلنا إن التدريب
لا عقوبة على المحاكمة فيه

ولكن هل كان خطأ آدم قبل اختياره كرَسُول أم بعد ذلك؟
إن الدين يؤمن بالله يقر أن كتاب الله ويفهمون قبل الله
سبحانه

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَمَدَّتْ لَهُمَا سُوءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾^(١) عليهما من
ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى (٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ
وهدي (١٢٢) ﴿[سورة طه]

كانت محبة آدم إذن قبل أن يحتره الله كرَسُول وقبل اجتباؤه كنبى
ودلك حتى لا يقول أحد «كيف عصى آدم وهو رسول»

(١) طفق يخصفان أحدا يرفان ورق الخ يعضه ليرده عورتهما
(٢) حباه به حاره وصطفه

إن آدم لم يعصِ وهو تبي

إن آدم مثل جميع أبائنا في الفترة الأولى، وفي حجة التدريب كان من الممكن أن يطيع وأن يعصى

ولكن بعد ذلك «اجتبه الله» أي أعطاه مرتبة أسوة حتى يسغ أبناءه وذريته

وهذا يدل على أن غواية دم تمت في فترة التجربة التي يمثل فيها آدم جميع ذريته

وبدلاً من يعص آدم في فترة شجرة وحاء قوم من أبنائه معصوا، فكيف يعرفون أن الله يقبل التوبة؟

إن التربية لآدم كانت تفصي أن يتمير بالاحتير ثم الخطأ ثم التوبة، حتى تعرف ذرية آدم أن الله يقبل التوبة بشرط أن تكون لعصية فيها اتهام للنفس، وليس فيها اتهام لصاحب الأمر بالتكليف

إن إبليس عصى ربه، وعُوقب بالطرد واللعنة

وآدم حين عصى ربه تلقى كلمات من ربه فتد عليه

إذن ما الفرق بين إبليس وآدم؟

(١) من هذه الكلمات ما ذكره ابن كثير في تفسيره (١٠٨٠) عن مجاهد أنهم لا إله إلا أنت سبحانه وبحمده، رب إني ظلمت نفسي فعمر لي بك حراً عامراً، اللهم لا إله إلا أنت سبحانه وبحمده، رب إني ظلمت نفسي فأرحمني إني خير أرحمهم، اللهم لا إله إلا أنت سبحانه وبحمده رب إني ظلمت نفسي فتب علي إني أنت أنتوب الرحيم

إن إبليس له معصية و آدم له معصية . فلماذا كانت معصية آدم هي لقابلة للتوبة . يعلمه الله فيها الاستعداد بها والتوبة عنها
ما المرق إدن؟

إن معصية إبليس معصية في القمة ، لأنه رد لأمر على صاحب الأمر وقال ﴿ أَسْحَدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا ﴾ [الإسراء]

﴿ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [ص]

ومعنى ذلك «كيف تكلفى يا رب أن أسجد له؟» إن في هذا رد أمر على صاحب الأمر وعدم تنفيذه، وهذه معصية القمة في الكفر

أما آدم فمسكس ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا .. ﴾ [الأعراف]

أى اعتراف بحكم الله و مر الله ، لكن لم يقدر آدم على نفسه ، إنه يطلب المعصية و ارحمه حتى لا يكون هو وزوجه من الخاسرين

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف]

وعنى مثل هذا انقياس تكون المحالفة لمنهج الله في الأرض ، إن

«دين يتكبرون على الله ، ويردون على الله حكمه بقول لهم :

- أنتم كإبليس في المعصية

أما الذين يقولون إن أمر الله واجب الطاعة ، لكننا ظلمنا أنفسنا

هؤلاء نقول لهم :

- أنتم يمكن أن تكونوا في مناط التوبة ، ويمكن أن تدخلوا دائرة الاستغفار .

أما الذين يحاولون أن يتدخلوا في تعاليم الله ويقولون : «هذا حرام كان يجب أن يكون حلالاً . . وهذا حلال ما كان يجب أن يكون حلالاً» . هؤلاء الذين يريدون أن يتدخلوا في أحكام الله . . هؤلاء نقول لهم :

- أنتم كإبليس في التوجُّه . . ومثلتكم من الله كمثلة إبليس من : الطرد واللعنة .

وأما الذين يقبلون منهج الله ويتهمون أنفسهم بالتقصير ، وأنهم لم يستطيعوا حمل أنفسهم على المنهج بكماله وتماه ، فإن الله قد شرع لهم التوبة وشرع لهم المغفرة .

إن الذين يعترفون بالتقصير ويتوبون ، مثلهم كمثل آدم في معصيته الأولى . .

أما الذين يرفضون منهج الله فمثلهم كمثل إبليس في معصيته .

ومن هذا نستطيع أن نعرف كيف يتعد الإنسان عن منهج إبليس ، في رد الأمر على صاحب الأمر .

ومن هذا نستطيع أن نعرف كيف أن الغفلة يمكن أن يغفرها الله ؛ لأننا

نعرف ضعف نفوسنا أمام حكم الله .

وهنا تشير الآيات في رمزية التدريب إلى أن آدم حينما أكل من الشجرة نسي ماذا؟ وغفل عن ماذا؟ هذه هي الإجابة .

لقد قال آدم : إن إبليس أغواه قائلاً : إن الله لم يمنعك من أن تأكل من هذه الشجرة إلا رغبة في ألا تكون من الخالدين ، وأنت يا آدم لو أكلت من الشجرة فسوف تكون خالداً لا تموت .

كان إبليس بذلك يحاول إقناع آدم أن الله يخدعه . . . ويظهر هذا في تلك الآيات :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى (١١٩) فَوَسَّوْا إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) ﴾

[طه]

(١) الظمأ : هو حر الباطن وهو العطش ، والضحى : حر الظاهر .

إن خديعة الشيطان واضحة ، وكان على آدم أن ينتبه إلى أن إبليس لا يعرف تفاصيل الجنة ، إنه لا يعرف هل هذه الشجرة تضمن الخلود أم لا ! . كان على آدم أن ينتبه إلى أن الشيطان هو إبليس الذي قال لله :

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي ^(١) إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الحجر]

إن إبليس يعرف أن آدم به غفلة .

ولذلك فعلى الإنسان أن ينتبه إلى أن أى إنسان آخر يريد أن يبعده عن منهج الحق إلى منهج الباطل ، فعلى الإنسان أن يكون ذكياً ، وأن يجعل أى رأى محل تمحيص ودراسة وقياس لهذا الرأى بمنهج الله .

إن ما حدث لآدم فيه رمز للمؤمن بأن يتعرف على المنهج المخالف لمنهج الله ، وأن يعرف أن أى عداوة لمنهج الله هى عداوة للإنسان ومستقبله .

لأن الإنسان قد يلتقى بآخر . . يرى هذا الآخر قدرة الإنسان المؤمن على الطاعة . . فيتساءل بينه وبين نفسه : «كيف أترك هذا المؤمن طائعاً ، وأنا غير قادر على الطاعة ؟ لا بد أن أغريه حتى يكون معي ؛ لأننى لم أقدر على أن أكون معه . كيف أترك هذا المؤمن مستمتعاً بجنة الطاعة ، وأنا أقاسى عذاب العصيان ؟ لا بد أن أغريه وأغريه حتى يكون عاصياً مثلى . . فلا أراه خيراً منى فأحتقر نفسى » .

(١) أنظرني : أخرنى وأمهلى ولا تقتني .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
١١	الاستمتاع بالحياة
٢٩	الأتقان
٤٥	من هنا نبدأ
٦٣	اللذة قد تساوى الألم
٧٩	آدم المظلوم
٩٧	حدود السماء هي كرامة الإنسان
١١١	كرامة الإنسان
١٢٣	التوبة طريق الغفران

رقم الإيداع ٩٧/٣٤١٣

الترقيم الدولي I.S.B.N

٩٧٧/٠٨/٠٦٠٢/١

اخبار اليوم التجارية

مجمع ٦ أكتوبر